الإسلام في إفريقيا .. بين التاريخ المنسي والأيدي الخفية

التوحيد

العدد ٦٢٧ السنة الثالثة والخمسون - ربيع أول ١٤٤٥ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

إعصار ضرب القلوب

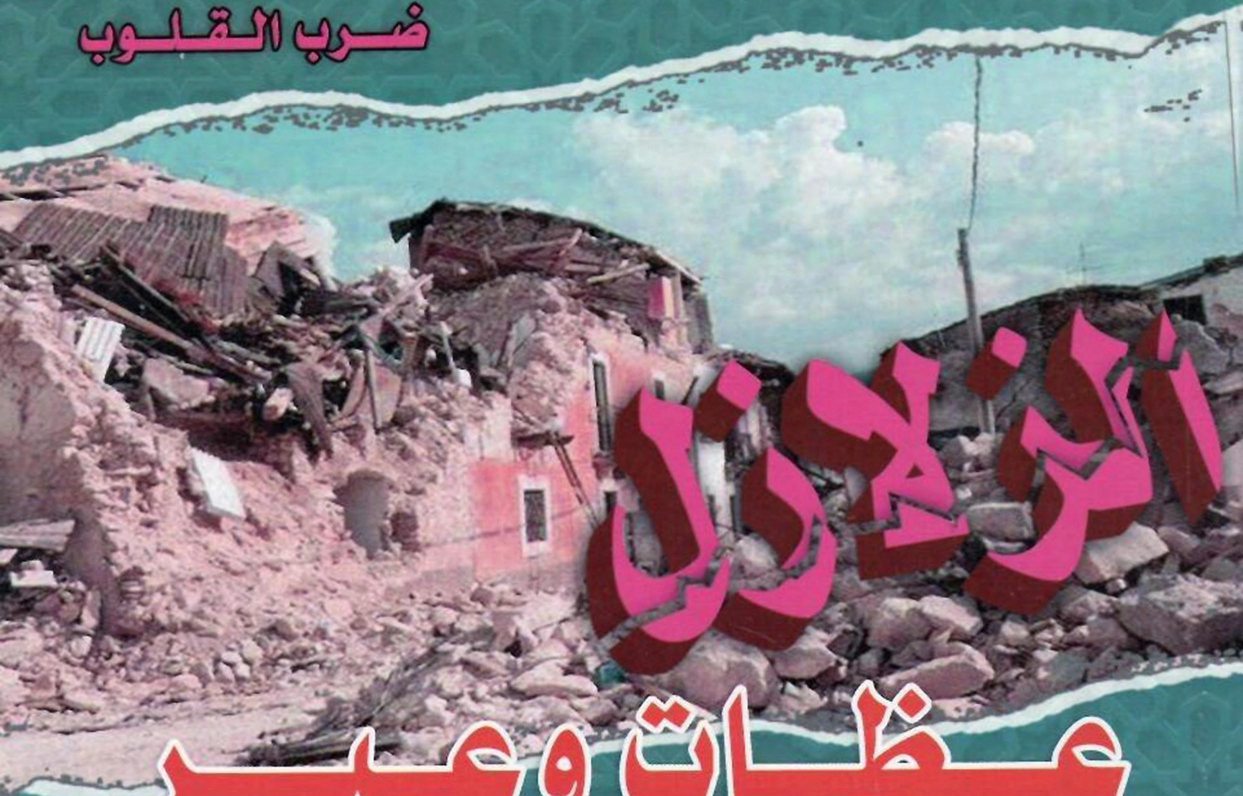

الزلازل عظات وعبر

- حقيقة النور المحمدي
- برهان حب الرسول صلى الله عليه وسلم
- النبي صلى الله عليه وسلم مُعلمًا

بسم الله الرحمن الرحيم
فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام
على مجلة التوحيد
فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبدالمجيد

هيئة التحرير:

مستشار التحرير:
جمال سعد حاتم

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

مطابع الأهرام التجارية ACP

السلام عليكم

إعصار ضرب القلوب

بينما نُعِدُّ هذا العدد للطباعة؛ إذ نزل بأهل الإسلام فاجعتان: الأولى الزلزال الذي ضرب دولة المغرب الشقيق، ولم تكد المآقي يَجفّ دمعُها على ما أصاب المسلمين هناك؛ إذ تبع ذلك فاجعة أخرى وهي إعصار دانيال المدمر الذي ضرب شرق ليبيا يوم الأحد ١٠ سبتمبر الموافق ٢٥ صفر ١٤٤٥هـ، فخلف آثارًا تدميرية وفاجعة إنسانية على كثير من مدن الشرق الليبي؛ خاصةً مدن: درنة، وسوسة، والمرج، وطبرق.

وكانت أكثر المدن تضررًا مدينة درنة، والتي انهار فيها سدان وتحطم بها أربعة جسور، حتى كاد ربع المدينة أن يختفي تمامًا، وجرفت السيول مباني برُمّتها إلى البحر، وتجاوزت حصيلة الوفيات في درنة وحدها خمسين ألف قتيل، فضلاً عن آلاف المفقودين والمُشرَّدين.

وتلك الآيات عظة يستعتب بها الله عباده، قال الله تعالى: « وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا » (الإسراء: ٥٩)؛ لعلهم يراجعون أمر دينهم.

فاللهم ارحم إخواننا وتقبلهم في الشهداء، وعوِّض أهلنا في المغرب وليبيا خيرًا، واربط على قلوبهم.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

حقيقة النور المحمدي
الرئيس العام: الشيخ أحمد يوسف ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب الفتاوى إعداد: د. أيمن خليل ٩
الإسلام دين الله تعالى
الشيخ إبراهيم حافظ ١٢
تذكير الأكارم بسيرة أ. جمال سعد حاتم، رحمه الله
إعداد: أ. محمد عبد المقصود صالح ١٤
شعب الإيمان د. جمال المراكبي ١٧
تذكير المؤمنين بغزوة السويق، ووفاة عثمان بن مظعون
د. سيد عبد العال ٢١
برهان حب الرسول صلى الله عليه وسلم
الشيخ عبده أحمد الأقرع ٢٤
الزلازل: عظات وعبر د. أيمن خليل ٢٧
الإسلام في إفريقيا بين التاريخ المنسي والأيدي الخفية
د. عبد الوارث عثمان ٣٢
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
التفصيل في حكم منع الزوج زوجته من زيارة أبويها
د. متولي البراجيلي ٣٨
يدّعون محبته وقد استحقوا لعنته!
د. أحمد سليمان ٤٢
فضائل العفو عن الناس
الشيخ صلاح نجيب الدق ٤٥
الإسلام والطفل الشيخ عادل شوشة ٤٩
تحذير الداعية من القصص الواهية
الشيخ علي حشيش ٥٣
إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
شبهات وردود د. محمد حامد ٦١
من بلاغة القرآن الكريم :د. عبد الرحمن فودة ٦٤
النبي صلى الله عليه وسلم معلمًا
الشيخ صلاح عبد الخالق ٦٧
وسائل التواصل الاجتماعي: أحكام وضوابط
د. عبد القادر فاروق ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحـمـد رجـب مـحـمـد
مـحـمـد مـحـمـود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

حقيقة النور المحمدي

إعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**
الرئيس العام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وبعد:

فإن مما امتنّ الله به على عباده بعثة النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال الله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ» **(آل عمران: ١٦٤). قال ابن كثير: أي من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به.**

كان من رحمة الله بالعباد أن أرسل إليهم رسلاً منهم يتكلمون بألسنتهم، قال سبحانه: « وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » **(إبراهيم: ٤).**

وقد ساق القرآن رد الكفار على رسلهم واعتراضهم على بشريتهم، «قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا» (إبراهيم: ١٠)، فـ«قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ» (إبراهيم: ١١)، قال ابن كثير: أي: صحيح أنا بشر مثلكم في البشرية، «وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ» (إبراهيم:١١) أي بالرسالة والنبوة (٤/٤٨٣) دار طيبة.

«وبشريته صلى الله عليه وسلم لا تقدح في رسالته واصطفائه لتبليغ الرسالة، كما أن بشريته مقرونة ومميزة بالرسالة.»

وسيد البرية وخير البشرية رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعًا من الرسل: «قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» (الأحقاف: ٩)؛ فهو بشر مثلهم أمره الله أن يقول ذلك مرتين: «قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ» (الكهف: ١١٠).

قال الشيخ السعدي: أي لست بإله ولا لي شركة في الملك، ولا علم بالغيب ولا عندي خزائن الله، وإنما أنا عبد من عبيد ربي اصطفاه الله بالوحي والبلاغ عنه سبحانه (تيسير الكريم الرحمن:٤٨٩).

وبشريته صلى الله عليه وسلم لا تقدح في رسالته واصطفائه لتبليغ الرسالة، كما أن بشريته مقرونة ومميزة بالرسالة ومنزلته السامية ودرجته العالية وكونه خاتم النبيين واختصاصه بالإسراء والمعراج، وبتسليم الشجر والحجر عليه وحنين الجذع لفراقه، وكونه صاحب المقام المحمود والحوض المورود والشفاعة العظمى، إلى غير ذلك مما اختصه الله به كل ذلك لا يُخرجه عن دائرة العبودية فهو على أي حال عبد الله تعالى، ذكر الله ذلك في مواطن التشريف «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ» (الإسراء: ١)، «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ» (الكهف: ١)، «تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا» (الفرقان: ١).

والعبد لا يملك من الأمر شيئًا؛ قال الله تعالى: «قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ» (الأعراف:١٨٨)، وإذا كان لا يملك لنفسه فهو لا يملك لغيره، قال تعالى: «قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا» (الجن: ٢١).

وقد حذّر صلى الله عليه وسلم أمّته من المدح المؤدي إلى الخروج به عن دائرة العبودية ووصفه بصفات الرب سبحانه؛ فقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري من حديث عمر رضي الله عنه: « لا تُطْرُوني كما أطْرَت النَّصارى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإنَّما أنا عَبْدُهُ، فقُولوا: عبدُ اللهِ ورَسولُهُ». (صحيح البخاري: ٣٤٤٥).

> "وفي أمته صلى الله عليه وسلم من يغالي في مدحه بما يخالف حقيقة التوحيد الذي جاء به."

والإطراء -كما عرفه ابن حجر-: المدح بالباطل، كما أنه الإفراط في المدح.

ومع تحذير النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن الشيطان أبى إلا أن يُوقع بعض الناس في المدح بالباطل، ومن ذلك ما جاء عن صاحب البردة وهو يفرط في مدح رسول الله ليصفه بصفات الله سبحانه حيث قال:

يا أكرم الخلق ما لي منْ ألوذُ به
سواك عند حدوث الحدث العمم

وقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

لقد حذر صلى الله عليه وسلم من المدح الذي أدى بقوم نوح لعبادة البشر وصرف العبادة لهم: «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» (نوح: ٢٣). نقل ابن كثير قول البخاري عن ابن عباس أن: "ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام" (صحيح البخاري: ٤٩٢٠).

وفي أمته صلى الله عليه وسلم مَن يغالي في مدحه بما يخالف حقيقة التوحيد الذي جاء به؛ فمن قائل بأنه نور عرش الله، وقائل: يا أول خلق الله، وقائل: إنما خلق الكون لأجله صلى الله عليه وسلم، إلى غير ذلك مما لا دليل عليه.

أما حقيقة النور الذي وصفه به القرآن الكريم فهو نور النبوة والرسالة، قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا» (الشورى: ٥٢).

وقال تعالى: «قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ» (المائدة: ١٥)؛ قال صاحب الكشاف: «يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافيًا عن الناس من الحق» (٦١٧/١).

وقال ابن كثير: ثم أخبر عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: «قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ» (٦٨/٢)، أما قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا» (الأحزاب: ٤٥-٤٦).

فقد قال الإمام القرطبي: السراج المنير استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه. وقيل: سراجًا أي هاديًا من ظلم الضلالة، وأنت كالمصباح المضيء (التفسير: ١٧٢/١٧).

وقال ابن كثير: ما جئت به من الحق كالشمس في إشراقها واضاءتها، لا يجحدها إلا معاند (٣٨٩/٦).

وقال صاحب الكشاف: جلّى به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يُجلّي ظلام الليل بالسراج المنير، ويُهْتَدي به أو أمدَّ الله بنور نبوته البصائر كما يُمدُّ بنور السراج نور الأشياء.

فاللهم ارزقنا اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم، ومحبته، وطاعته، وأكرمنا بشفاعته يا أرحم الراحمين.

سُورَةُ لُقْمَان

سُورَةُ لُقْمَان

سورة لقمان

الحلقة الثالثة

قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ » (لقمان: ٨- ١٢)

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات:

وعلى طريقة القرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب، لما ذكر حال الأشقياء، الذين كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها، أتبعه بذكر حال السعداء، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (لقمان: ٨، ٩).

يقول تعالى: «إنَّ الذين آمنوا» بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، إيمانًا تامًا ملأ قلوبهم وتمكن منها، «وعملوا الصالحات» بجوارحهم، كما يقتضيه الإيمان، فإنه لا بد مع الإيمان من عمل، «لهم» بمقابلة ما ذكر من إيمانهم وعملهم، «جَنَّاتُ النَّعِيمِ » أي النعيم الكثير، نعيم البدن، بما فيها من ألوان المطاعم، والمشارب، والمناكح، والملابس، والحليّ، ونعيم الروح والقلب بالنظر إلى الله عز وجل، وحصول رضوانه.

واللام في قوله تعالى: «لهم» لام الملك، فهي تدل على أنَّ الله تعالى ملكهم تلك الجنات وجعلها لهم، ولذلك قال تعالى في معرض الحديث عن نعيم الجنة: «وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا » (الإنسان: ٢٠).

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: (سأل موسى ربَّه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له ادخل الجنة. فيقول: أي ربّ كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟! فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت ربّ. فيقول: لك ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله. فقال

في الخامسة: رضيت ربّ. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذّت عينك. فيقول رضيت ربّ. قال ربّ! فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر). قال ومصداقه في كتاب الله عز وجل: « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ » (السجدة: ١٧) الآية. (صحيح مسلم ١٨٩).

والمُلك مهما عظم لا تتمّ الفرحة به إذا كان عُرضة للزوال، وإنّما تتمّ الفرحة إذا اطمأنّ المالك على بقاء مُلكه ودوامه، وعدم زواله وفنائه، فقال تعالى: « خالدين فيها »، « لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ » (الحجر: ٤٨)، ولذلك لمّا اطّلع رجلٌ من أهل الجنّة على صديق له مُلحد: « فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ » (الصافات: ٥٥- ٥٧)، ثمّ أراد أن يطمئنّ على ما هو فيه من النّعيم، فقال لإخوانه: « أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » (الصافات: ٥٨-٦٠).

وخلود أهل الجنّة ودوام مُلكهم وعدٌ وعدهم الله إيّاه، « وعد الله حقًا » مصدران مؤكدان، الأول مؤكدٌ لنفسه، والثاني مؤكدٌ لغيره، لأنّ قوله: « لهم جنّات النّعيم ٨ » في معنى: وعدهم الله جنّات النّعيم، فأكّد معنى الوعد بالوعد. وأمّا « حقًا » فدالّ على معنى الثبات، أكّد به معنى الوعد، ومؤكدهما جميعًا قوله: « لهم جنّات النّعيم ٨ ». « وهو العزيز » الّذي لا يغلبه شيءٌ ولا يُعجزه، يقدر على الشّيء وضدّه، فيُعطي النّعيم من شاء، والبُؤس من شاء (الكشاف ٣/٢١١).

وهو « الحكيمُ ٩ » في شرعه، وقضائه وقدره، ((يهدي من يشاء، ويعصم ويُعافي فضلًا، ويُضلّ من يشاء، ويخذُل ويبتلي عدلًا، وكلّهم يتقلّبون في مشيئته، بين فضله وعدله، لا رادّ لقضائه، ولا مُعقّب لحُكمه، ولا غالب لأمره)) (متن العقيدة الطحاوية. تعليق الألباني: ٢٢).

من دلائل التّوحيد:

« خلق السّماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبثّ فيها من كل دابّة وأنزلنا من السّماء ماءً فأنبتنا فيها من كلّ زوج كريم ١٠ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الّذين من دونه بل الظّالمون في ضلال مُبين ١١ »:

١- خلق السّماوات:

يقول تعالى: « خلق السّماوات بغير عمد ترونها » أمامكم، على سعتها، وامتداد أرجائها، مرفوعة بغير عمد، فمن الّذي رفعها؟! ومن الّذي يُمسكها؟! « أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ » (الغاشية: ١٧، ١٨)، « أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ » (الحج: ٦٥)، « إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » (فاطر: ٤١).

٢، ٣- الأرض والجبال:

« وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم »:

يقولون إنّ الجزء اليابس من الأرض خُمس الأرض، فهذا الجزء اليابس بالنّسبة إلى مساحة المياه كالقارب الصّغير في المحيط، لا يستقرّ فوق سطح الماء، فمن رحمة الله بالعباد أنّه جعل للأرض رواسي تُثبّتها، وهي الجبال، حتّى يستطيعوا أن ينتفعوا بالأرض،

وَيَستقرُّوا عليها. قال تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا» (النبأ: ٦، ٧). وقال تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا» (المرسلات: ٢٥-٢٧). وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ» (الأنبياء: ٣٠-٣٣).

٤- خَلْق الدَّوابّ المُختلفة:

«وَبَثَّ فيها من كل دابة» مُختلفة الأجناس والألوان، والمنافع والمضار. كما قال تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (النور: ٤٥).

٥، ٦- المطر والنَّبات:

«وأنزلنا من السَّماء ماءً فأنبتنا فيها من كُلِّ زوج كريم ١٠». قَدْ فَصَّله سُبحانَه في قوله: «فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» (عبس: ٢٤-٣٢).

أفمن يخلق كمن لا يخلق:

«هذا خَلْقُ الله فأروني ماذا خلق الَّذين من دُونه»؟ وهذا تهكُّم بهم وسُخرية. كما قال تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا» (فاطر: ٤٠)، وقال تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (الأحقاف: ٤)، وقال تعالى: «قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» (الرعد: ١٦، ١٧).

وَهُمْ لَمْ يَزْعُمُوا أَنَّ الَّذين يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُون الله يَخْلُقُون شيئًا، بَلْ كانُوا مُقرِّين بأنَّ الخالق هُو الله، كما قال تعالى: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ» (الزخرف: ٨٧)، وقال تعالى: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ» (الزخرف: ٩-١٢). فلماذا إذا عَبَدُوا غَيْر الله؟! «بَل الظَّالمون في ضَلال مُبين ١١»: «بل» للإضْراب الانتقاليّ منْ غَرض المُجادلة إلى غرض تَسْجيل ضلالهمْ، أيْ في اعْتقادهمْ إلهيَّة الأصْنام، كما يُقال في المُناظرة: دَعْ عنْك هذا وانْتقل إلى كذا. والظَّالمُون: المُشْركُون. والضَّلال المُبين: الكُفْر الفَظيع، لأنَّهُمْ أعْرضُوا عَنْ دعْوة الإسْلام للْحقّ، وذلك ضلالٌ، وأشْركُوا مع الله غيْره في الإلهيَّة، فذلك كُفْرٌ فظيعٌ. وجيء بحَرْف الظَّرْفيَّة لإفادة اكْتناف الضَّلال بهمْ في سائر أحْوالهمْ، أيْ: شدَّة مُلابسته إيَّاهُمْ. (التحرير

والتنوير ٢١/١٤٨).

وصايا لقمان لابنه:

«ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ١٢ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ١٣»

من هو لقمان الحكيم:

كان لقمان عبدًا حبشيًا، وكان من عباد الله الصالحين، آتاه الله الحكمة، وهي العلم النافع، والعمل الصالح، والإصابة في الرأي.

قيل: ومن دلائل حكمته أن مولاه أمره يومًا أن يذبح شاة ويأتيه بأطيب ما فيها، فأتاه باللسان والقلب. ثم أمره أن يذبح شاة ويلقي أخبث ما فيها، فأتاه باللسان والقلب، فتعجب من ذلك مولاه، فقال: يا سيدي! إنه ليس أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا (التحرير والتنوير: ٢١/١٤٨).

وقلت أنا: من أعظم دلائل حكمته ذلك الترتيب البديع في موعظة ابنه، حيث بدأ بالعقيدة أولا، وهي بداية الأنبياء، ثم ثنى بمراقبة الله، التي هي أثر من آثار الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، ثم ثلث بالصلاة التي هي أعظم حق الله بعد الإيمان به، ومن آمن بالله، وقام بحقه عليه، وجب عليه أن يدعو إلى الله، فلذلك وصى لقمان ولده بعد أن يكمل نفسه بالإيمان والعمل الصالح، أن يسعى في تكميل غيره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن قام بذلك فلا بد له من الصبر، ولا بد له من مكارم الأخلاق التي تعينه على مشاق الدعوة وكسب المدعوين، وهذا هو ما تضمنته موعظة لقمان لابنه، وهي أكبر دلائل حكمته.

بم صار حكيما:

وقالوا في أسباب نيله تلك الحكمة: وقف رجل على لقمان الحكيم، فقال: أنت لقمان؟! أنت عبد بني الحسحاس؟ قال: نعم، قال: أنت راعي الغنم؟ قال: نعم، قال: أنت الأسود؟ قال: أما سوادي فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيهم بابك، ورضاهم بقولك. قال: يا ابن أخي! إن صغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك، قال لقمان: غضي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، وقولي بصدق، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني إلى ما ترى. (تفسير القرآن العظيم ٣/٤٤٣و٤٤٤).

«ولقد آتينا لقمان الحكمة»، وقد قال تعالى: «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا» (البقرة ٢٦٩)، فوجب عليه أن يشكر الله، ولذلك قال تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله» أي وقلنا له اشكر الله على ما آتاك، واعلم أن نفع الشكر عائد على الشاكرين، والله غني عن العالمين، ولذلك قال تعالى: «ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد ١٢»، كما قال تعالى: «إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور ٧» (الزمر: ٧)، وقال تعالى: «وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ٧ وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ٨» (إبراهيم: ٧،٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

الفتاوى

من روائع الماضي

إعداد د. أيمن خليل

اخترت لكم من فتاوى دار الإفتاء المصرية (١): فساد عقد البيع بالشرط الفاسد

المفتي/ الشيخ عبد الرحمن قراعة.
شوال ١٣٣٩ هجرية

المبادئ

١ - اشتمال عقد البيع على شرط المنفعة للبائع مدة حياته مفسد له شرعا ولا يصلح أن يكون العقد وصية لأنها تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع وهذا ليس كذلك.

٢ - فساد العقد يقتضى بقاء المبيع على ملك البائع ويورث عنه شرعا

السؤال

بخطاب وزارة المالية ٢٩ مايو سنة ١٩٢١ نمرة ١٧٢٤٤ ٨٨ بما صورته مرفق ضمن الأوراق طيه الواردة بمكاتبة مديرية الشرقية رقم ٧ الجارى نمرة ١٣٤ صورة عقد بيع مقول بصدوره من عبد الغنى موسى عسكر بيع ٤ س و ٧ ط أرض زراعية ومعطى له بمقتضاه حق الانتفاع أيام حياته على أن تكون بعد وفاته الأرض المذكورة وجميع ما يمتلك ملكا وأثرا واستحقاقا لزوجته الست نفيسة بالأمل بعد الاطلاع على صورة العقد المذكور بالإفادة

عما يقتضيه الحكم الشرعى فيما إذا كان العقد المذكور يعتبر وصية تمليك مضافا إلى ما بعد الموت أو يعتبر بيعا صحيحا شرعيا نافذا بعد وفاته.

أم لا هذا ولا ذاك أو يعتبر مالا موروثا عن المتوفى وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

الجواب

اطلعنا على خطاب الوزارة رقم ٢٩ مايو سنة ١٩٢١ نمرة ٤٤٢ ١٧ ٨٨ بخصوص العقد المقول بصدوره من عبد النبى موسى عسكر.

ونفيد أن البيع الذى اشتمل عليه العقد لم يكن بيعا صحيحا شرعيا لاشتماله على شرط مفسد للبيع وهو اشتراطه أن يكون الانتفاع له طول حياته.

وليس وصية أيضا لأنها تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع.

وتمليكه هنا لم يكن بهذا الطريق.

وحينئذ يكون القدر المبيع مما يجرى فيه التوارث لأنه باق على ملك البائع.

وللإحاطة تحرر هذا والأوراق عائدة طيه كما وردت والله أعلم

(٢) بيع بثمن مؤجل يعقبه شراء نقدا بسعر الحاضر

المفتي الشيخ/ حسن مأمون.

رجب ١٣٧٥ هجرية - ٤ فبراير ١٩٥٦ م

المبادئ:

١- شراء الشخص ما باعه بنفسه أو بوكيله ممن اشتراه بثمن أقل من ثمن البيع قبل دفع كل الثمن الأول فاسد شرعا، وإن رخص السعر للربا.

٢- لا يجوز بيع المنقول قبل قبضه سواء بيع لمن باعه أولا أو لغيره.

أما إذا قبضه المشترى من البائع فلا يجوز بيعه له ثانية إلا بالثمن الذى اشتراه به أو أكثر منه، ولا يجوز بيعه بالأقل منه لأنه ربا.

٣- أجاز المالكية تصرف المشترى فى المبيع قبل قبضه بالبيع سواء أكان المبيع عينا ثابتة أو منقولة أو طعاما بيع جزافا.

فإن كان الطعام مكيلا أو موزونا أو معدودا واشتراه كذلك فلا يصح تصرفه فيه قبل قبضه

السؤال:

من السيد/..... قال إنه تاجر أسمدة كيماوية يبيع الكيماوى لمدة سنة تقريبا فأقل فأكثر بثمن أكثر من ثمنه الحال - فإذا اشترى منه مشتر إلى أجل بثمن المؤجل وكتب الكمبيالة، وقبل أن يخرج من محله اشترى منه ما باعه له بالنقد بالسعر الحاضر، فهل فى هذا التصرف حرمة.

الجواب:

إن المنصوص عليه فى مذهب الحنفية كما جاء فى التنوير وشارحه الدر المختار أن شراء ما باع بنفسه أو بوكيله من الذى اشتراه بالأقل من قدر الثمن الأول قبل نقد كل الثمن الأول فاسد شرعا.

صورته باع شيئا بعشرة قروش ولم يقبض الثمن ثم اشتراه بخمسة لم يجز وإن رخص السعر للربا - وجاء فى حاشية رد المحتار تعليقا على ذلك قوله أى لو باع شيئا وقبضه المشترى ولم يقبض البائع الثمن فاشتراه بأقل من الثمن الأول لا يجوز - زيلعى - أى سواء كان الثمن الأول حالا أو مؤجلا هداية وقيد بقوله وقبضه لأن بيع المنقول قبل قبضه لا يجوز ولو من بائعه وعلل عدم الجواز بقوله لأن الثمن لم يدخل فى ضمان البائع قبل قبضه فإذا عاد إليه عين ماله بالصفة التى خرج عن ملكه وصار بعض الثمن قصاصا ببعض بقى له عليه فضل بلا عوض فكان ذلك ربح ما لم يضمن وهو حرام بالنص - زيلعى - وجاء فيه بعد ذلك فى (فصل

فى التصرف فى المبيع والثمن قبل القبض) قوله ولا يصح بيع المنقول قبل قبضه ولو من بائعه وقوله بعد ذلك ولو باعه منه (أى من بائعه) قبله (أى قبل القبض) لم يصح هذا البيع ولم ينتقض البيع الأول لأنه يلزم عليه تمليك المبيع قبل قبضه وهو لا يصح.

مما سبق من النصوص يظهر أن الحنفية ذهبوا إلى أنه لا يجوز بيع الأعيان المنقولة قبل قبضها سواء بيعت لمن اشتريت منه أو لغيره. أما إذا كان مشتريها قد قبضها من البائع فإنه لا يجوز له أن يبيعها له ثانية إلا بالثمن الذى اشتراها به أو أكثر منه ولا يصح بيعها إليه بأقل من الثمن الذى اشتراها به لأن ذلك ربا.

وذهب الشافعية إلى أنه لا يصح للمشترى أن يتصرف فى المبيع قبل قبضه ولو قبض البائع الثمن وأذن فى قبض المبيع، لأن بيعه إياه قبل القبض يقع باطلا حتى ولو كان ممن اشتراه منه لضعف الملك قبل القبض، فلا يصح التصرف فى المبيع بالبيع قبل القبض إلا فى ثلاث صور:

١- أن يبيعه لمن اشتراه منه بنفس الثمن الذى اشتراه به.

٢- أن يتلف المبيع عند البائع، فإن للمشترى أن يبيعه له بمثله.

٣- أن يشترى شيئا لم يقبضه وثمنه دين فى ذمة البائع، فإنه يصح له أن يبيعه لمن اشتراه من بنفس الثمن فى ذمة البائع الأول - أو يشترى شيئا لم يقبضه ويدفع الثمن فإنه يصح له أن يبيعه من بائعه بنفس الثمن فى ذمته، لأن البيع فى هذه الصور ليس بيعا حقيقة إنما هو إقالة بلفظ البيع أى نقض للبيع الأول.

وذهب الحنابلة إلى أن التصرف فى المبيع المنقول مكيلا كان أو موزونا أو معدودا بالبيع قبل قبضه لا يصح. وإذا باع المرء سلعة بثمن مؤجل أوحال ولم يقبضه فإنه يحرم على البائع أن يشتريها من الذى باعها إليه. فإن فعل وقع بيع المشترى لها ممن باعها إليه باطلا إذا اشتراها الأول ثانية بنفسه أو بوكيله وبثمن أقل من الثمن الأول ومن جنسه.

وذهب المالكية إلى أنه يصح للمشترى أن يتصرف فى المبيع قبل قبضه بالبيع سواء أكان المبيع أعيانا ثابتة كالأرض والنخيل أو منقولة. ويستثنى من ذلك الطعام كالقمح والفاكهة فإنه لا يصح بيعه قبل قبضه إذا كان قد اشتراه مكيلا أو موزونا أو معدودا، لورود النهى فى الحديث عن بيع الطعام قبل أن يكتاله أما إذا كان قد اشتراه جزافا فإنه يصح له أن يبعه قبل قبضه، لأنه بمجرد العقد يكون فى ضمان المشترى فهو فى حكم المقبوض.

مما سبق يتبين أن الأئمة الثلاثة عدا مالكا ذهبوا إلى أنه لا يجوز بيع المنقول مكيلا كان أو موزونا قبل قبضه، وكذلك الحكم عند الإمام مالك إذا كان المبيع طعاما مكيلا كان أو موزونا، أما إذا كان طعاما بيع جزافا أو كان غير طعام فإنه يجوز بيعه قبل قبضه خلافا لما ذهب إليه الأئمة الثلاثة.

من هذا التفصيل يتبين أن البيع المسئول عنه غير صحيح عند الأئمة الثلاثة عدا مالكا. أما عنده فإنه بيع جائز لا شئ فيه.

وبهذا علم الجواب عن السؤال والله سبحانه وتعالى أعلم

الإسلام دين الله تعالى

إعداد **الشيخ إبراهيم حافظ رزق**

مدرس القرآن الكريم
بالأزهر الشريف - بالمعاش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن من إكرام الله لهذه الأمة المرحومة أن أكمل لها دينها، وأتم عليها نعمته، ورضي لها الإسلام دينًا. يقول تعالى: « ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا » (المائدة: ٣). فالله سبحانه يخبر في هذه الآية بما أنعم به على هذه الأمة: بأن أكمل لهم دينهم بجميع عقائده وعباداته وأحكامه وآدابه وأخلاقه، وأتم عليهم نعمته: فأمنهم بعد الخوف، وأطعمهم بعد الجوع، وقواهم بعد الضعف، وعلمهم بعد الجهل، وهداهم بعد ضلال، وأعزهم بعد ذل.

ولقد رضي الله لهم الإسلام دينًا؛ حيث بعث به رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم وأنزل به كتابه: فبيَّن عقائده وشرائعه وأبعدهم بهذا الدين عن الملل الباطلة والنِّحل الفاسدة، فلا يحتاجون دينًا غير دينهم، ولا يحتاجون رسولاً بعد رسولهم؛ عليه الصلاة والسلام.

فالإسلام نعمة الله العظمى ومنَّته الكبرى على عباده؛ حيث إن الإسلام دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها والذي لا يقبل دينًا غيره: يقول تعالى: « إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ » (آل عمران: ١٩)، ويقول أيضًا: « وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (آل عمران: ٨٥). وفي الحديث القدسي: «واني خلقت عبادي كلهم حنفاء»، وفي صحيح مسلم قول النبي عليه الصلاة والسلام: «ما من مولود إلا يُولد على الفطرة...». وفي رواية: «إلا على هذه الملة»؛ أي ملة الإسلام.

والإسلام دين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم حتى خاتمهم محمد صلى الله عليهم جميعًا وسلم؛ فهو دين نوح الذي ظل يدعو قومه إليه طيلة ألف سنة إلا خمسين عامًا، فها هو يقول لقومه: « فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » (يونس: ٧٢)، وهو -أي: الإسلام-

دين إبراهيم عليه السلام الذي من أجله أُلقي في النار، وها هو يدعو ربه: « رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ » (البقرة: ١٢٨).

والله يقول عنه: « وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » (البقرة: ١٣٠-١٣١)، وها هو الصِّدِّيق يوسف عليه السلام يدعو ربه قائلاً: « أنتَ وليّي في الدُّنيا والآخرة توفّني مُسلمًا وألحقني بالصّالحين » (يوسف: ١٠١).

وقبله يعقوب حفيد الخليل عليهما السلام يقول: « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ » (البقرة: ١٣٢). وكذلك الكليم موسى عليه السلام يقول لقومه: « وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ » (يونس: ٨٤)، وحكى القرآن عن المسيح عيسى عليه السلام قوله: « فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ » (آل عمران: ٥٢).

ثم جاء نبي الإسلام وخاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام ليكمل بناء هذا الدين العظيم؛ حيث يقول عليه الصلاة والسلام: « إن مَثلي ومَثل الأنبياء قبلي كمَثل رجل بنى بيتًا فأتمه وأجمله إلا موضع لبنة، ثم جعل الناس يدخلون هذا البيت، ويتعجبون منه، ويقولون: لولا هذه اللبنة؛ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين».

والإسلام دين السماحة واليسر؛ فلا يكلف أتباعه فوق ما يطيقون، يقول تعالى: « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ » (الحج:٧٨). ويقول تعالى: « لا يُكلّفُ الله نفسًا إلاّ وُسعها » (البقرة: ٢٨٦).

والإسلام دين الوسطية، يرفض الإفراط والتفريط ويكره التشدد والتقطع، وفي الحديث: «ولن يشادّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه...». ويقول عليه الصلاة والسلام: «هلك المتنطعون...». والله تعالى يقول: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ » (البقرة: ١٤٣).

الإسلام هو الدين الذي رفع رايته المسلمون الأولون؛ فسَادُوا به الدنيا مشرقًا ومغربًا، فوصلوا بالإسلام إلى حدود الصين شرقًا، وإلى مشارف أوروبا غربًا، وتنكر المسلمون المتأخرون لإسلامهم فجعلهم الله في ذيل القائمة، واعتبرهم العالم المعاصر على هامش الحياة.

الإسلام: الذي هو الحل لجميع المشكلات التي يعاني منها عالمنا المعاصر ولكن أي إسلام؟ ليس الإسلام الشكلي ولا التدين المظهري، وإنما الإسلام في حقيقته وجوهره؛ إسلام العلم والعمل، إسلام الأخلاق الفاضلة والمبادئ القويمة، إسلام العقيدة الصحيحة، والتوحيد الخالص لا إسلام الشرك والوثنية وعبادة غير الله.

الإسلام: الدين الذي عرَّف الناس بخالقهم ومعبودهم العظيم؛ فعبدوه على بصيرة وبيِّنة بعد أن كانوا في عمًى وتيه.

الإسلام الذي ساوى بينَ الجميع؛ فلا فرق بين عربي وعجمي ولا أبيض وأسود، فقال كتاب الإسلام: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (الحجرات: ١٣).

الإسلام: الدين الذي حرَّم الظلم على أتباعه، وأخبرهم أنه ظلمات يوم القيامة، وأمرهم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهاهم عن الفحشاء والمنكر والبغي.

الإسلام: الدين الذي حرَّم الخيانة حتى خيانة أعدائه، فالقرآن يقول: « وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » (الأنفال: ٥٨).

الإسلام: الدين الذي حرَّم ظلم المرأة والمسكين واليتيم والضعيف، وحرم القتل، ورحم الطير والحيوان. ففي الحديث: «دخلت امرأة النار في هرّة حبستها...».

الإسلام: الدين الذي يأمر بالوحدة والائتلاف وينهى عن الفرقة والاختلاف: « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » (آل عمران: ١٠٣).

فعلينا- معشر المسلمين- أن نعتز بديننا، وأن نتمسك بشرائعه وآدابه وأحكامه، وأن نقدمه للبشرية في صورته الواضحة البعيدة عن الأوهام والخرافات والبدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلاة وسلامًا على نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم.

تذكير الأكارم

بسيرة الأستاذ جمال سعد حاتم لله ثم للتاريخ

إعداد **محمد عبد المقصود صالح**

الحمد لله المتصف بصفات الكمال، المنعوت بنعوت الجلال، الذي علم ما كان وما سيكون في الوقت وفي الحال، حكم بالموت على كل روح من مخلوقاته، فساوى فيه بين الملك والمملوك، والغني والفقير، والشريف والحقير، والعاصي والمطيع من سكان أرضه وسماوته، وأشهد أن لا إلا الله الكبير الوهاب، الغفور التواب، الذي إذا عبد أثاب، وإذا سئل أجاب، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله شفيعنا يوم الحساب، يوم العرض على رب العباد، يوم لا ينفع أموال ولا أولاد. أما بعد:

فقد تلقينا بقلوب صابرة راضية بقضاء الله خبر وفاة واحد من أصحاب الأقلام البارزة، والمقالات النافعة، والحوارات الماتعة التي سخرت لخدمة الإسلام، والدفاع عن منهج أهل السنة ألا وهو فضيلة الأستاذ: جمال سعد حاتم رحمه الله.

وعندما تلقيت خبر وفاته نزل علي هذا الخبر كالصاعقة، فقد كان الأستاذ جمال بالنسبة لي كالوالد الشفيق على ولده، والأخ الذي يشد من عضده، ويأخذ بيد أخيه إلى طريق الأمان والسلامة، والصاحب الوفي الذي يقف بجانبه في وقت الشدة، ولم يبخل عليه بنصحه وإرشاده، والعمل على ما يصلحه وينفعه.

ولذلك كان من حق قرائه ومحبيه، ومن كان له به أدنى صلة أن يتعرف على سيرته ومسيرته، وجهوده في الدعوة، وما تحمل في سبيلها من أذى واضطهاد، وتكذيب وافتراء وعناد.

١- اسمه: هو أبو محمد: جمال سعد حاتم.

٢- مولده: وُلد الأستاذ جمال في ١٦/١/١٩٦٠م، في قرية السعيدية التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية، وينحدر نسبه إلى عائلة كبيرة وهي عائلة "حاتم"، وهي تمتاز بشدة الكرم، وقوة الترابط، ووحدة التماسك.

وقد كان أبوه الحاج سعد حاتم قد وُضع له القبول في الأرض، فكان محبوبًا بين الناس، معروفا بينهم بحسن السمعة، وطيب العشرة، والعمل على خدمتهم، والسعي على قضاء مصالحهم.

وقد ورث الأستاذ جمال هذه الصفات عن أبيه، وسار على نهج والده، وسعى بقدر الإمكان إلى القيام بمصالح العباد، وعدم التأخر عنهم فيما يقدر عليه.

٣- مسيرته العلمية

بدأت مسيرته العلمية بالتلقي والتعليم في كنف الأزهر الشريف منذ نعومة أظفاره سواء أكان في المرحلة الابتدائية ثم المرحلة الإعدادية ثم الثانوية الأزهرية، ثم التحق بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، وحصل على ليسانس اللغة العربية، قسم الصحافة

والإعلام عام ١٩٨٤-١٩٨٥م، ثم سرعان ما حصل على دبلوماتين في الإعلام التعاوني والإعلام الإسلامي.

- وقد مارس الأستاذ جمال حاتم مهنة الصحافة بعدما تخرج من قسم الصحافة والإعلام، فعمل صحفيًا بوكالة الندوة السعودية.

- وكان من توفيق الله له أن تعرف على سماحة الشيخ الوالد محمد صفوت نور الدين "رحمه الله" في سنة ١٩٩٢م الذي أخذه معه للعمل في مجلة التوحيد، وكان رئيس التحرير آنذاك فضيلة الشيخ صفوت الشوادفي "رحمه الله " فعمل سكرتيرًا للمجلة تحت إشراف رئيس التحرير.

وكانت تربطه بالشيخ صفوت نور الدين علاقة قوية، بل كان الأستاذ جمال يعتبر هو الابن البكري للشيخ صفوت نور الدين، وكان يلازمه كظله، فحصل منه علمًا وخلقًا، وخبرة ونصحًا، ومشورة وإرشادًا.

وقد كان الأستاذ جمال يجلّ شيخه ويقدره، وما من مجلس جالسته فيه إلا ويذكر شيخه بكل جلال ويثني عليه بأعظم الخصال، وكريم الخلال.

- وقد أسندت إليه أيضًا في هذه الآونة أيضًا إدارة مكتب مجلة الفرقان الكويتية.

- وقد خطا الأستاذ جمال في هذه الفترة أثناء عمله سكرتيرًا لتحرير مجلة التوحيد خطوات واسعة فولى شطره إلى عمل الحوارات الصحفية، فكانت له حوارات صحفية تتسم بالجدية والاتزان.

- وبعد وفاة الشيخ صفوت الشوادفي في سنة ٢٠٠٠م أسندت رئاسة مجلة التوحيد لشيخنا د.جمال المراكبي فكان الأستاذ جمال عونًا له، يعمل تحت إشرافه، ساعيًا في النهوض بالمجلة، وظهورها في أحسن صورة.

- ثم جاء قرار من القائمين على أمر الصحافة في مصر بأن رئيس التحرير لا بد أن يكون حاصلاً على ليسانس صحافة وإعلام، وهذا الشرط كان متوفرًا في الأستاذ جمال فصدر القرار بتعيينه رئيسًا للتحرير.

وما أن تولى رئاسة التحرير عمل على نهضة المجلة سواء من ناحية الشكل والمظهر، والمضمون والجوهر حتى أصبحت المجلة من أكثر المجلات انتشارًا في العالم الإسلامي، وكانت مقالاته تتسم بالسهولة والبساطة بعيدًا عن التعقيد والتكلف والصفاقة، وكانت تجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين التأصيل الشرعي وفقه الواقع، وامتازت بالتنوع سواء أكانت قضايا سياسية، أو اجتماعية، أو دينية، وكان الدعاة والخطباء بلا مبالغة ينتظرون كل شهر بشغف وانتظار مقال رئيس التحرير ليشفي ما في الصدور، ويغذي العقول، ويريح النفوس المتعطشة للوصول إلى علاج القضايا الشائكة.

وظل علي ذلك الأمر يجاهد بقلمه ولسانه، ويسطر بيده وبنانه يكتب ويحاور ويحلل ويجتهد حتي أحيل إلى التقاعد لبلوغه السن القانوني للمعاش وذلك في عام ٢٠١٩م.

ونظرًا لجهود الأستاذ جمال للنهوض بالمجلة، وخبرته الواسعة في مجال الصحافة والإعلام عين مستشارًا إعلاميًا للمجلة إلى أن وافته المنية في ٢٠٢٣/٨/١٠م وعمرة ثلاثة وستون عامًا.

٤- صفاته وأخلاقه

لقد امتاز الأستاذ جمال سعد بمجموعة من الصفات التي جعلت منه إنسانًا مهذبًا راقيًا، وأهّلته لأن يكون قياديًا ناجحًا، يشار إليه بالبنان، ويثني عليه كل خالطه أو عاشره أو تعامل معه.

- فمن صفاته أنه كان بهي الطلعة، جميل المظهر، وسيم السحنة، حسن الثغر، بسام المحي، وكان يهتم بهيئته حتى يظهر صاحب المنهج الصحيح في أحسن صورة، وأعظم هيئة، فكان داعيًا بمظهره إلى السنة قبل قوله وعمله.

- ومن صفاته أنه كان عظيم الهيبة يزين من يسير معه أو يختلط به، فكان إذا سار في الطريق، أو دخل أي مكان كان معظمًا بين أهله، يحترمه ويقدّره من يدخل عليهم، وعظم الهيبة لا تعطى لأي إنسان فإن الله إذا أراد القبول لأحد ألقى عليه الهيبة، فإذا

نزع منه القبول نزعت منه الهيبة.

- ومن صفاته أنه كان شديد التواضع يُسلِّم على الصغير قبل الكبير، يبتسم في وجوه الناس، ويشعرهم بالبساطة نحوه، ولا يترك أي مناسبة للناس إلا كان مشاركًا لهم في أفراحهم وأحزانهم.

- ومن صفاته أنه كان يسعى بقدر الإمكان في قضاء حوائج الناس؛ فقد أسس جمعية تنمية المجتمع التي كانت سببًا في كثير من المشاريع التي ساعدت على النهوض بقرية السعيدية، والعمل على خدمتهم وتيسير مصالحهم، وقضاء حوائجهم.

كما أنه افتتح مشروعًا لبيع الأدوات الصحية فكان لا يرد أحَدا، فقد رأيت بعيني رأسي أن كثيرًا من الناس كانوا يأتون إليه وليس معهم شيء؛ فكان يعطيهم ولا يسألهم عن موعد السداد حتى قال لي ذات مرة: إني لا أعرف ماذا لي عند الناس من كثرة، من كان يأتي إلي ويأخذ جميع الأدوات الصحية ولم يدفع منها شيئًا.

- ومن صفاته التي اشتهر بين الناس: بِرّه بوالديه، والقيام على مصالح إخوته، فكان يُضرب به المثل في هذا الباب، فقد كانت له أختان أصابهما المرض العضال فلم يتأخر عنهما، وعلى القيام بمصالحهما، وتحمل كافة العلاج اللازم لهما.

- ومن صفاته أنه ضرب به المثل في الكرم، فكان يلقب "بحاتم الطائي"؛ فكان يعطي بلا حساب، ويعلم ذلك كل من عاشره أو خالطه وما من واحد دخل بيته إلا ويخرج راضيًا مرضيًا من شدة ما يجده من كرم وبذل وسخاء يد، وسلوا الخطباء الذين كانوا يأتون إلى خطبة الجمعة كيف كان الأستاذ جمال يتعامل معهم، فقد كان يصر على إكرام الخطيب واعطائه بعض الكتب والمجلدات والمجلات التي تساعده على الاستمرار في طلب العلم.

فهذه أهم الصفات التي كان يتمتع بها الأستاذ جمال فكان اسما على مسمى ولولا ضيق المقام لذكرنا نعوتا كثيره، ومواقف جليله مما كان يتصف بها.

٥- جهوده في الدعوة إلى الله

لقد كان الأستاذ جمال محبًا لدعوة التوحيد مخلصًا لها، ساعيًا في نشرها، غيورًا عليها، حريصًا على عدم المساس بها من أي فكر دخيل يحاول أن يقترب منها، أو يخترقها، ومن ذلك أنه كانت القرية آنذاك يسطر عليها التيار الطرقي الخرافي.

فسعى أ. جمال في إنشاء مجمع التوحيد بالسعيدية للدعوة إلى التوحيد ونشر السنة ومحاربة البدع والخرافات، وقد افتتح هذا المجمع بحضور الشيخ صفوت نور الدين وألقى الشيخ محاضرة قيمة بعنوان "الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك"، وقد سجل هذا الافتتاح الكبير عبر أثير إذاعة القرآن الكريم وكان بتقديم الإعلامي المتميز شحاته العرابي وكان يومًا مشهودًا لا يزال يتذكره الناس إلى اليوم.

وقد كان رحمه الله تعالي يَحذر الفتن ويُحذِّر من الولوج فيها ويحرص على وحدة الصف والثبات على المنهج وقد عرف بذلك حتي إن الشيخ محمد ناصر العريني كتب كتابًا بعنوان "كشف شبه أهل الضلال"، قدم له د.صالح الفوزان، ود.عبد اللطيف آل الشيخ، ففي (ص:٢٤-٢٥) من هذا الكتاب المذكور أثنى فيه على الأستاذ جمال سعد حاتم واستشهد بكلامه ونقله بنصه في تحذيره من الفتن، وعدم الولوج فيها، والحرص على تقديم المصلحة العليا للدولة.

لقد ترك الأستاذ جمال تراثا فكريا لمن أراد أن يتعرف على عقيدته ومنهجه؛ فقد بلغت عدد مقالاته في مجلة التوحيد وحدها ٢٣٩ مقالاً، وهي كافية للتعرف على منهج الرجل لمن نظر بعين الإنصاف بعيدًا عن الظلم والإجحاف.

فهذا غيض من فيض، وقليل من كثير للتعرف على سيرة الرجل ولولا خشية الإطالة لذكرت الكثير والكثير من فضائله ومناقبه ومواقفه وجهوده في الدعوة إلى الله، والله على ما أقول شهيد.

هذا والله أعلى وأعلم وصلِّ اللهم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

شُعَب الإيمان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فقد روى الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان، وقول الله تعالى: «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون». وقول الله تعالى «قد أفلح المؤمنون» الآية.

إعداد د. جمال المراكبي

عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان".

وروى الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان روايتان: باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

الأولى: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان.

والثانية: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

والحديث أخرجه أبو عوانة فقال: بضع وستون أو بضع وسبعون. ورواه أصحاب السنن الثلاثة فقالوا: بضع وسبعون من غير شك. ولأبي عوانة في صحيحه: ست وسبعون أو سبع وسبعون. ورجح البيهقي رواية البخاري لأن سليمان -الراوي- لم يشك وبأنه المتيقن وما عداه مشكوك فيه.

ورجح البعض رواية بضع وسبعون لكونها زيادة ثقة - كما

ذكره الحليمي ثم عياض - وهو لا يستقيم، إذ الذي زادها لم يستمر على الجزم بها، لا سيما مع اتحاد المخرج.

وقد رجح ابن الصلاح الأقل لكونه المتيقن.

قال ابن رجب الحنبلي: وأما الاختلاف في لفظ الحديث: فالأظهر أنه من الرواة كما جاء التصريح في بعضه بأنه شك من سهيل بن أبي صالح. وبهذا يتبين شفوف نظر البخاري.

وزعم بعض الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذا العدد بحسب ما ينزل من خصال الإيمان، فكلما نزلت خصلة منها ضمها إلى ما تقدم وزادها عليها... وفي ذلك نظر.

وفي رواية مسلم زيادة: "فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"، وفي هذا إشارة إلى أن مراتبها متفاوتة، وأن خصال الإيمان منها قول باللسان، ومنها ما هو عمل بالجوارح ومنها ما هو قائم بالقلب، ولم يزد في شيء من هذه الروايات على هذه الخصال.

شرح معاني الكلمات:

(بضع) بكسر أوله، وحكى الفتح لغة، وهو عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع. وقيل: إلى العشر. وقيل: من واحد إلى تسعة. وقيل: من اثنين إلى عشرة . وقيل: من أربعة إلى تسعة. وعن الخليل: البضع: السبع.

(شعبة) بالضم أي: قطعة، والمراد الخصلة أو الجزء.

(والحياء) بالمد، وهو في اللغة: تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به. وقد يطلق على مجرد ترك الشيء بسبب، والترك إنما هو من لوازمه.

وفي الشرع: خُلق يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، ولهذا جاء في الحديث الآخر: "الحياء خير كله". (رواه مسلم: ٦١).

فإن قيل: الحياء من الغرائز فكيف جعله شعبة من الإيمان؟

أجيب: بأنه قد يكون غريزة وقد يكون تخلقًا، ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية، فهو من الإيمان لهذا، ولكونه باعثًا على فعل الطاعة وحاجزًا عن فعل المعصية.

ولا يقال: رب حياء يمنع عن قول الحق أو فعل الخير؛ لأن ذاك ليس شرعيًا.

فإن قيل: لم أفرده بالذكر هنا؟ أجيب: بأنه كالداعي إلى باقي الشُّعب، إذ الحيي يخاف فضيحة الدنيا والآخرة فيأتمر وينزجر.

عدد شعب الإيمان:

انتدب لعدها طائفة من العلماء كالحليمي والبيهقي وابن شاهين وغيرهم؛ فذكروا كل ما ورد تسميته إيمانا في الكتاب والسنة من الأقوال والأعمال، وبلغ بها بعضهم سبعًا وسبعين، وبعضهم تسعًا وسبعين.

وفي القطع على أن ذلك هو مراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ من هذه الخصال نظر: كذا قاله ابن الصلاح وهو كما قال.

ووجه استدلال البخاري بآية البر ومناسبتها للحديث، تظهر من الحديث الذي رواه عبد الرزاق وغيره أن أبا ذر سأل النبي -صلى الله عليه وسلم -عن الإيمان، فتلا عليه: (ليس البر) إلى آخرها، ورجاله ثقات.

ووجهه: أن الآية حصرت التقوى على أصحاب هذه الصفات، والمراد المتقون من الشرك والأعمال السيئة. فإذا فعلوا وتركوا فهم المؤمنون الكاملون.

وكذلك الآيات في مطلع سورة المؤمنون (قد أفلح المؤمنون)، وهذا يدل على أن الخصال المذكورة فيها هي خصال الإيمان المطلق، فإذا أطلق الإيمان دخل فيه كل ما ذكر في هذه الآيات، وكأن البخاري أشار إلى إمكان عد الشُّعب من هاتين الآيتين وشبههما.

قال ابن رجب: وتبويب البخاري (في كتاب الإيمان) على خصال الإيمان والإسلام والدين من أوله إلى آخره وما خرج فيه من الأحاديث وما استشهد به من الآيات والآثار الموقوفة إذا عدت خصاله وأضيف إليه أضداد مما ذكره في أبواب خصال النفاق والكفر بلغ ذلك فوق السبعين أيضًا، والله أعلم. (فتح الباري لابن رجب: ١/٣٤).

ومن أشهر المصنَّفات الموجودة بين أيدينا في بيان شعب الإيمان كتاب الإمام البيهقي: الجامع لشعب الإيمان، وقد سبقه إلى التصنيف في شعب الإيمان شيخه الحليمي بنفس العنوان، والبيهقي ينقل كثيرا عن الحليمي في هذا الكتاب وفي غيره مثل كتاب الاعتقاد وكتاب الأسماء والصفات.

قال القاضي عياض: "تكلف جماعة حصر هذه الشُّعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعوبة، ولا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان". (فتح الباري: ١/٥٢).

قال ابن حجر: ولم يتفق من عد الشُّعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان،

وقد ذكر ابن حبان أنه عد كل طاعة عدها الله تعالى في كتابه من الإيمان، وكل طاعة عدها رسول الله -صلى الله عليه وسلم -من الإيمان، وحذف المكرر فبلغت سبعًا وسبعين.

وهذه الشُّعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات تشتمل على أربع وعشرين خصلة: الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده وأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه. والإيمان بملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره. والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر، والبعث، والنشور، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار.

ومحبة الله. والحب والبغض فيه. ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد تعظيمه. ويدخل فيه الصلاة عليه، واتباع سنته.

والإخلاص، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق.

والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع، ويدخل: فيه توقير الكبير ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان وتشتمل على سبع خصال:

التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم، وتعليمه. والدعاء والذكر، ويدخل فيه الاستغفار واجتناب اللغو.

وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة

منها ما يختص بالأعيان

وهي خمس عشرة خصلة:

التطهير حسًا وحكمًا، ويدخل فيه اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلاً، والزكاة كذلك، وفك الرقاب، والجود، ويدخل فيه إطعام الطعام وإكرام الضيف، والصيام فرضًا ونفلاً،

والحج، والعمرة كذلك، والطواف، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والفرار بالدين، ويدخل فيه الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات.

ومنها ما يتعلق بالأتباع، وهي ست خصال:

التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين، وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة أو الرفق بالعبيد.

ومنها ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة:

القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود، والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو وإماطة الأذى عن الطريق.

فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم.

فإن قيل: فأهل الحديث والسنة عندهم أن كل طاعة فهي داخلة في الإيمان، سواء كانت من أعمال الجوارح أو القلوب أو من الأقوال، وسواء في ذلك الفرائض والنوافل، هذا قول الجمهور الأعظم منهم وحينئذ فهذا لا ينحصر في بضع وسبعين، بل يزيد على ذلك زيادة كثيرة، بل هي غير منحصرة .

قيل: يمكن أن يجاب عن هذا بأجوبة:

أحدها: أن يقال: إن عد خصال الإيمان عند قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كان منحصرًا في هذا العدد ثم حدثت زيادة فيه بعد ذلك حتى كملت خصال الإيمان في آخر حياة النبي صلي الله عليه وسلم.

والثاني: أن تكون خصال الإيمان كلها تنحصر في بضع وسبعين نوعًا، وإن كان أفراد كل نوع تتعدد كثيرًا، وربما كان بعضها لا ينحصر. وهذا أشبه. وإن كان الموقوف على ذلك يعسر أو يتعذر.

والثالث: أن ذكر السبعين على وجه التكثير للعدد، لا على وجه الحصر كما في قوله تعالى «إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» (التوبة: ٨٠). والمراد تكثير التعداد من غير حصوله هذا في العدد، ويكون ذكره للبضع يشعر بذلك كأنه يقول: هو يزيد على السبعين المقتضية لتكثير العدد وتضعيفه. وهذا ذكره أهل الحديث من المتقدمين، وفيه نظر.

والرابع: أن هذه البضع وسبعين هي أشرف خصال الإيمان وأعلاها وهو الذي تدعو إليه الحاجة منها. (انظر شرح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني، وكذا شرح البخاري لابن رجب الحنبلي).

والحمد لله رب العالمين.

تذكير المؤمنين بغَزْوَة السَّوِيق ووفاة عثمان بن مظعون رضي اللّه عنه

إعداد د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد؛ فنحن على موعد مع آخر أحداث السنة الثانية من الهجرة، ونذكر في هذا العدد بمشيئة الله ثلاثة من أحداث هذه السنة:

الأول: غزوة السويق.

الثاني: صلاة النبي صلى الله عليه وسلم أول عيد أضحى.

الثالث: وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه.

أولا: غزوة السويق:

تاريخها: وقعت غزوة السويق في الخامس من ذي الحجة، مِن السَّنَة الثَّانِيَة على رأس اثْنَيْن وَعِشْرِين شَهْرًا من الهجرة النبوية.

سبب الغزوة:

لما هزم المشركون في بدر نَذَر أَبُو سُفْيَان (أَنْ لا يَمَسَّ رَأْسَهُ مَاءٌ) مِنْ جَنَابَةٍ حتَّى يَغْزُو مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، وَيَثْأَر لأَصْحَابه؛ فَخَرَج في مائَتَيْ رَاكِب، ليَبَرّ بيَمينه، وَوَصَل إِلَى أَطْرَاف المَدِينَة لَيْلاً... فَانْصَرَف إِلَى سَلاَّم بن مشْكَم، وَكَان سَيِّد بَنِي النَّضِير، فَاسْتَأْذَن عَلَيْه، فَأَذِن لَهُ؛ فَضَيَّفَه وَأَخْبَرَه مِنْ أَخْبَار رَسُول اللّه صلى الله عليه وسلم، ثُمّ خَرَج أَبُو

سُفْيَان في عقب لَيْلَته حتَّى أَتَى أَصْحَابَهُ؛ فَأَتَوْا نَاحِيَةً من المدينَة؛ فَحَرَّقُوا في أَصْوار مِنْ نَخْل بهَا، ووَجَدُوا رَجُلاً من الأَنْصَار، وَحَليفًا لَه في حَرْثٍ لَهُمَا؛ فَقَتَلُوهُمَا، ثُمَّ وَلَّوْا مُدْبرينَ.

خَرُوج الرَّسُول صلى الله عليه وسلم:

فَبَلَغَ ذَلك رَسُول الله صلى الله عليه وسلم، فَخَرَجَ في أَثرهمْ يَطْلُبُهُمْ في مائَتَيْن من المُهَاجرين وَالأَنْصَار، وَاسْتَعْمَل على المَدينَة أَبا لُبَابَة بَشير بن عَبْد المُنْذر- رَضي الله عنه-، فَجَعَل أَبُو سُفْيَان وَأَصْحَابُه يُلْقُون جُرَب السَّويق، وَهي عَامَّة أَزْوَادهمْ، يَتَخَفَّفُون منْهَا للنَّجَاء، حتَّى بلغ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَرْقَرَة الكُدْر، ثُمَّ انْصَرف رَاجعًا إلى المَدينَة، وَقَدْ فَاتَه أَبُو سُفْيَان وَأَصْحَابُه، وكَانَتْ غَيْبَة الرَّسُول صلى الله عليه وسلم خَمْسَة أَيَّام، فَقَال المُسْلمُون حين رَجَع بهمْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: يَا رَسُول الله! أَنَطْمَع أَنْ تَكُون لنا غَزْوَةً؟ قَال: "نَعَمْ". زاد المعاد (٣/ ١٧٠)، وسيرة ابن اسحاق (٣١٠)، وسيرة ابن هشام (٣/ ٣١٠)، ودلائل النبوة للبيهقي (٣/١٦٥).

وَقَوْلُه "أَصْوَار نَخْل"، هي جَمْع صُور؛ وَالصَّوْر: نَخْلٌ مُجْتَمعَة.

الدروس والعبر:

- إنَّ الغُسْل منْ الجَنَابَة كَان مَعْمُولاً به في الجَاهليَّة بَقيَّة منْ دين إبْرَاهيم، وَإسْمَاعيل كَمَا بَقي فيهمْ الحجَّ وَالنّكَاحُ. الروض الأنف (٥/ ٢٧١).

- إنها سميت غزوة السويق؛ قَال ابن هشام: وَإنَّمَا سُمّيَتْ غَزْوَة السَّويق لأَنَّ أَكْثَر مَا طَرَح القَوْم منْ أَزْوَادهمْ السَّويق، فَرَجَع المُسْلمُون بسَويق.

والسَويق: هو أن تُحمَص الحنطة، أو الشعير، أو نحو ذلك، ثم تطحن، ثم يسافر بها، وقد تمزج باللبن، والعسل والسمن، وتُلتَ، فإن لم يكن شيء من ذلك مزجت بالماء. المدينة النبوية في فجر الإسلام (١/ ١٤٨).

- الظاهر أن أبا سفيان أراد بهذه الغزوة؛ أن يبر يمينه فقط؛ لأنه لا يتصور أنه كان يريد بهذه القوة الصغيرة (٢٠٠ راكب) الانتصار على المسلمين في هذه الغزوة بعد أن شاهد قوتهم في غزوة بدر. محمد صلى الله عليه وسلم (١/ ٢٦٦).

- وهذا يتضمن تعظيمهم للأَيْمان، وحرصهم على الوفاء بها، وهذا من بقايا ملة إبراهيم عليه السلام.

- قوله: "وَاسْتَعْمَل عَلى المَدينَة أَبَا لُبَابَة بَشير بن عَبْد المُنْذر" وفيه: أهمية الترتيب، والتنظيم الاداري على مختلف المستويات، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلف على المدينة من يصلي بهم ومن يحكم بينهم.

- وهذا يتضمن فضيلة لأبي لبابة رضي الله عنه.

- إن هذا الغزوة خوَفت المشركين، وأشعرتهم بما عليه المسلمون من اليقظة والحذر، وأنهم لا يؤخذون على غرة، واذا كانوا قد قتلوا اثنين في حرثهما؛ فإن ذلك لا يعد نصرًا ولا استردادا للكرامة المنزلة. (خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم لأبي زهرة (٢/ ٥٩٧).

قال الغزالي: ولم تنل قريش من هذه الغارة الفاشلة شيئًا يرفع رأسها. فقه السيرة (٢٥٣).

- وخروج النبي صلى الله عليه بنفسه وكان بإمكانه أن يرسل سرية تقوم بهذا العمل ينبئ عن حبه للجهاد وهو القائل " وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَريَّة" صحيح البخاري (٣٦).

- خطر اليهود على الدولة الإسلامية؛ وتعاونهم مع المشركين ضد المسلمين، ولذلك لجأ أبو سفيان إليهم، واتخذهم وسيلة لتنفيذ غارته على المسلمين.

- أن الإسلام يجب ما كان قبله، وذلك أن أبا سفيان أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه

وجاهد في سبيل الله وأبلى بلاء حسنا؛ فلا يجوز لأحد أن يتجرأ عليه، أو يقع فيه بسبب هذه الأحداث التي تروى عنه رضي لله عنه.

ثانيا: أوّل أضحى رآه المُسلمون

وفي ذي الحجة من هذه السنة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول عيد أضحى؛ قَال الطَّبَرِيُّ: وَبَعْد أن انْصَرَف رَسُول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى المَدِينَة حَضَرَت الأَضْحَى، وَكَان أَوَّل أَضْحَى رَآه المُسْلِمُون، فَخَرَج بِالنَّاس إِلَى المُصَلَّى، فَصَلَّى بِهِمْ أَوَّل صَلَاة أَضْحَى، وَذَبَح فيه بِيَدِه الشَّرِيفَة شَاتَيْن، وَقِيل شَاة. اللؤلؤ المكنون (٢/ ٥٣٢).

ثالثا: وفاة أبي السائب
عُثمان بن مَظعون رضي الله عنه

وَفي ذي الحِجَّة من السَّنَة الثَّانِيَة لِلْهِجْرَة تُوُفي عُثْمَان بن مَظْعُونٍ رضي الله عنه، وَكَان مِنْ سَادَة المُهَاجِرِين، وَمِنْ أَوْلِيَاء الله المُتَّقِين الذين فازوا بوفاتهم في حَيَاة نَبِيِّهِمْ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ... أَسْلَم رضي الله عنه أوّل الإِسْلَام، بَعْد ثَلَاثَة عَشَر رَجُلاً، وَهَاجَر إِلَي الحَبَشَة هُو وَابْنُه السَّائب الهِجْرَة الأُولَى، فبَلَغَهُمْ وَهُمْ في الحَبَشَة أَنَّ قُرَيْشًا أَسْلَمَتْ فَعَادُوا. وَهُو أَوَّل مَنْ مَات بالمدينَة من المُهاجرين، وأَوَّل مَنْ دُفن بالبَقيع، وهو خال حفصة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وهو رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم. انظر: اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون (٢/ ٥٣٦)، وأسد الغابة (٣/ ٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (١/ ١٥٤)، وحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار (٢٥٥)، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ٤١١).

ثُمَّ هَاجَر إِلَى المَدِينَة، وَشَهِد بَدْرًا، وَكَان رضي الله عنه مِنْ أَشَدِّ النَّاس اجْتِهَادًا في العِبَادَة، يَصُوم النَّهَار وَيَقُوم اللَّيْل.

ومن فضائله: اجتهاده في العبادة حتى أراد الانقطاع لها عن الدنيا ولذاتها؛ عَنْ سَعْد بن أَبِي وَقَّاص رضِي الله عنه قَالَ: "رَدَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم عَلى عُثْمَان بن مَظْعُونٍ التَّبَتُّل، وَلَوْ أذن له لَاخْتَصَيْنَا" صحيح البخاري (٥٠٧٣).

والتَّبَتُّل هُو الانْقطاع عَنِ النِّساء، وَتَرْك النِّكَاح وتَرْك لَذَّات الدُّنْيَا وَشَهَوَاتها، شرح النووي على مسلم (٩/ ١٧٦).

عن أم العَلَاء: أَنَّ عُثْمَان بْن مَظْعُونٍ طَار لَهُمْ في السُّكْنَى، حين اقْتَرَعَت الأَنْصَار عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ؛ قَالت: فَاشْتَكَى، فَمَرَّضْنَاه حَتَّى إِذَا تُوُفي وَجَعَلْنَاه في ثِيَابه، دَخَل عَلَيْنَا رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم، فَقُلْتُ: رَحْمَة الله عَلَيْك أَبَا السَّائب، فَشَهَادَتي عَلَيْك لَقَدْ أَكْرَمَك الله، فَقَال لي النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: "وَمَا يُدْرِيك أَنَّ الله أَكْرَمَه؟"، فَقُلْتُ: لا أَدْرِي بِأَبِي أَنْت وَأُمِّي يا رَسُول الله، فَقَال رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: "أَمَّا عُثْمَان فَقَدْ جَاءَه وَالله اليَقِين، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَه الخَيْر، وَالله مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُول الله مَا يُفْعَل بِه" -وفي رواية "بي"، قَالَتْ: فَوَالله لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَه أَبَدًا، وَأَحْزَنَنِي ذَلِك، قَالَتْ: فَنِمْت، فَأُرِيت لِعُثْمَان عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْت إِلَى رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم، فَأَخْبَرْتُه، فَقَال: "ذَاك عَمَلُه" صحيح البخاري (٣٩٢٩).

وعَنْ عَائشَة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم قَبَّل عُثْمَان بن مَظْعُونٍ وَهُو مَيِّتٌ، وَدُمُوعُه تَسِيل عَلَى خَدِّ عُثْمَان بن مَظْعُونٍ. رواه التِّرْمِذِيُّ وصَحَّحَه (ح ٩٨٩).

وَدُفِن رضي الله عنه في البَقِيع، وَهُو أَوَّل مَنْ دُفِن بالبَقِيع من المُهَاجرين رضي الله عنهم وعن جميع الصحابة وعنا معهم. الإصابة (٤/ ٣٨٢).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العاملين.

برهان حب الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع
فرع إختاواي - غربية

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أما بعد: فإن آية الايمان، وبرهان صدق الإسلام، محبة الرسول الأعظم سيد الأنام: سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؛ قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». (متفق عليه).

ولما قال فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك». فقال له عمر رضي الله عنه: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن يا عمر». (صحيح البخاري ٦٦٣٢).

ومن أراد أن يتذوق حلاوة الإيمان فعليه بحُبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان». وذكر صلى الله عليه وسلم: «أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما» (متفق عليه).

وحذر ربنا سبحانه وتعالى الذين يحبون شيئًا فوق محبة الله ورسوله ، فقال تعالى: « قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ » (التوبة: ٢٤).

وأوجب الله تعالى على كل مَن حكم عليه النبي صلى الله عليه وسلم بحُكم، ألاَّ يكون في حرج أو ضيق، بل يسلم لحُكمه ويرضى. فقال سبحانه: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا » (النساء: ٦٥).

وحذر سبحانه من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: «فَلْيَحْذَرِ

الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣)، وأخبر سبحانه وتعالى أن أهل النار -إذا دخلوها- يتمنون أنهم أطاعوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فقال تعالى: «يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا» (الأحزاب: ٦٦).

وفي المقابل جعل الله تعالى في طاعة نبيه صلى الله عليه وسلم السعادة في الدارين. فقال سبحانه: «وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (الأعراف: ١٥٨)، وقال تعالى: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧).

أمارة حبه اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» (آل عمران: ٣١)؛ وهو الرحمة المسداة؛ قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» (الأنبياء: ١٠٧)، وهو صلى الله عليه وسلم الذي بشر أمته، قال صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا». (مسلم ١/١٨٩).

إذن فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ونؤمن إيمانا راسخا أن الدعوة التي نزل بها القرآن الكريم، وأرسل من أجلها الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن مجرد كلمات ترقق بها القلوب وتخدر النفوس، وإنما هي باعث حضارة متكاملة، تؤدى فيها الواجبات، وتصان جميع الحقوق دون تهاون أو تقصير، غير أن الناس تختلف في هذه المحبة، فمن الناس من يرى المحبة في الانتساب والشكل والصورة، ومن الناس من يرى المحبة في همهمات يهمهم بها وترتيلات وأناشيد ينشدها وصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم يحصى عددها، والعاقل الحصيف من يتجه في كل مذهب يتجه إليه، وفي كل مسلك يسير فيه يتجه نحو المعين الصافي في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يشرب منه فيرتوي، ويقصد مصدر النور يقتبس من إشعاعه فيهتدي.

وأما المعين الصافي والنور الوضاء فهو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اللذين قال عنهما رسول الهدى صلى الله عليه وسلم: «تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض». (صحيح الجامع: ٢٩٣٧).

فمعيار محبته صلى الله عليه وسلم أن يجعل المسلم هواه تبعا لما جاء به صلوات الله وسلامه عليه، ولو كان في ذلك مصادمة لشهواته، أو مصادرة لعادات قومه، وإلا فمجرد الادعاءات لمحبته صلى الله عليه وسلم والشكليات كل ذلك لا يكفي العمل والاتباع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال الله تعالى: «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (الحشر: ٧)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». (البخاري ٧٢٨٠).

وفي ذلك أوضح الأدلة على أن من طرح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره فقد عصاه، ومن عصاه فقد عرض نفسه للحرمان من الرضوان.

فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم واقتفاء أثره والتمسك بسنته هو شاهد صدق العبد في محبته، وكلما عظم الحب زاد الاتباع، وكلما نقص الحب نقص الاتباع.

فكل من يرجو الله واليوم الآخر، يجعل الرسول عليه الصلاة والسلام قدوته، وأسوته، كما قال الله عز وجل: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١).

وقد ضرب الصحابة والتابعون أروع الأمثلة في محبة النبي الأمين صلوات الله وسلامه

عليه، والتأسي به، فعملوا بسُنته، ودعوا إليها، وذبُّوا عنها؛ فكان هذا برهانًا ساطعًا على حبهم لله عز وجل.

فهذا صدّيق الأمّة رضي الله عنه يقول: «لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى أن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ» (متفق عليه).

وهذا فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد أن يُقبّل الحجر الأسود قال: «والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبّلك ما قبّلتك». (متفق عليه). توحيدٌ واتباع لسيد الأنام.

وهذا الرجل الذي كانت تستحي منه الملائكة -أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه- : قعد على المقاعد -يعني مقاعد الوضوء- فتوضأ ثم دعا بطعام مما مسّته النار فأكل منه، ثم قام إلى الصلاة فصلى ثم قال رضي الله عنه: «قعدت مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكلت طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصليت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم». (رواه أحمد: ١/٧٠).

وهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في القيام للجنازة: «قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمنا، وقعد فقعدنا» (مسلم: ٩٦٢)؛ يعني أن الأمر بالقيام للجنازة عند مرورها منسوخ، وقد قمنا حين قام، وقعدنا لما قعد، هذا هو الحب الصادق.

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: كنت آتي مع سلمة بن الأكوع المسجد -أي: مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف؛ فقلت: يا أبا مسلم، أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة، قال: «فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها». (متفق عليه).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والأسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في الروضة المكرمة، وأنها تعرف باسطوانة المهاجرين». (فتح الباري: ١/٥٧٧).

وعن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان، وهو جالس على المنبر، أذن المؤذن، قال: (الله أكبر- الله أكبر)، قال معاوية: (الله أكبر- الله أكبر)، قال: (أشهد أن لا إله إلا الله)، فقال: معاوية (وأنا)، فقال: (أشهد أن محمدًا رسول الله)، فقال معاوية: (وأنا)، فلما أن قضى التأذين، قال: يا أيها الناس، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المجلس، حين أذن المؤذن، يقول: «ما سمعتم مني من مقالتي». (فتح الباري: ٩١٤).

وعن مسلم بن يسار، قال: «إني لأصلي في نعلي، وخلعهما أهون عليّ؛ ما أبتغي بذلك إلا السنة» (طبقات ابن سعد: ٧/١٨٧).

وكان الإمام مالك رحمه الله: إذا جلس للفقه جلس كيف كان، وإذا أراد الجلوس للحديث اغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جددًا وتعمم، وقعد على منصته بخشوع ووقار، ويبخّر المجلس من أوله إلى فراغه؛ تعظيمًا للحديث. (تذكرة الحفاظ للذهبي: ١/١٩٦).

والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في اتباعهم للنبي صلى الله عليه وسلم، واقتفائهم سنته كثيرة جدًا، وإنما يدل ذلك على صدق حبهم لله عز وجل، فإن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أمارة حب الله سبحانه، وإن بعض أهل الإسلام لم يقدروا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق قدره، حتى وهم يتوجهون إليه صلى الله عليه وسلم بالحب والتعظيم، ذلك أنه حب سلبي، لا صدى له في واقع الحياة، ولا أثر له في السلوك والامتثال، وما أحسن قول أبي عثمان النيسابوري إذ يقول: «من أمَّر السُّنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة». (حلية الأولياء: ١٠/٢٤٤).

فمحبة النبي صلى الله عليه وسلم تتمثل في اتباعه، والتأسي به، والتمسك بسنته، وسلك منهجه، والتخلق بأخلاقه، والذبّ عن سُنته.

اللهم ارزقنا حُبّ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأعنّا على التأسي به قولاً وعملاً؛ إنك ولي ذلك والقادر عليه.

الزلازل: عظات وعبر

وقفة مع زلزال المغرب ١٤٤٥هـ/ ٢٠٢٣م

إعداد **د. أيمن خليل**
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. أما بعد: فقد تعرَّض المغربُ الشقيق يوم الجمعة الثاني والعشرون من شهر صفر لعام ١٤٤٥هـ الموافق ٨/٩/٢٠٢٣م لزلزال عنيف جاوزت قوته السبع درجات بمقياس رختر ضرب مراكش وما حولها؛ وأسفر عن ضحايا بلغوا ٢٤٩٧ قتيلاً، و٢٤٧٦ مصابًا؛ حتى كتابة هذه السطور، فضلاً عن تشريد آلاف الأسر المغربية التي أمست في العراء بلا مأوى بعد تدمير آلاف البيوت، واختفت قرى بكاملها في باطن الأرض.

وعقب هذا الزلزال المروع تباينت المواقف، ما بين شامت والعياذ بالله، وبين راغب في الشهرة على وسائل التواصل من خلال مواكبة ما يعرف بالترند، وما بين معاتب لأهل المغرب بدعوى أن هذا الزلزال ثمرة للذنوب والمعاصي. وهو ما يدعونا أن نقف مع هذا الحدث لنخرج منه بالعظات والعبر.

ما هو الزلزال؟ الزلزال هو اهتزاز أو سلسلة من الاهتزازات الارتجاجية المتتالية لسطح الأرض؛ تحدث في وقت لا يتعدى ثوانٍ معدودة، ويقرر علماء الجيولوجيا أن الزلازل التي تنتج عن حركة الصفائح الصخرية في القشرة الأرضية، ويسمى مركز الزلزال "البؤرة"، يتبع ذلك بارتدادات تدعى أمواجًا زلزالية، وهذا يعود إلى تكسر الصخور وإزاحتها بسبب تراكم إجهادات داخلية للأرض نتيجة لمؤثرات جيولوجية ينجم عنها تحرك الصفائح الأرضية.

> وقـوع الـزلازل يشتمل على حكم بالغة لله عز وجل؛ فهي تظهر قدرة الله تعالى وعظمته، كما تظهر الزلازل ضعف العباد وعجزهم وقلة حيلتهم.

كيف يتم قياس قوة الزلازل:

يتم قياس قوة الزلازل بمقياس ريختر (الذي اخترعه عالم الفيزياء الأمريكي تشارلز فرانسيس ريختر في عام ١٩٣٥ بالاشتراك مع عالم الزلازل الأمريكي بينو جوتنبرج)، وبمقياس العزم الزلزالي (الذي اخترعه عالم الزلازل الياباني هيرو كاناموري عام ١٩٧٧م، والذي يعد تحسينًا لمقياس ريختر، ويعتمد مقياس ريختر على قياس الموجات الزلزالية، بينما يقيس مقياس العزم الزلزالي الطاقة الصادرة عن الزلزال.

وبمقياس ريختر فحينما تكون درجة الزلزال من ١: ٤ درجات فلا تحدث أي أضرار، ولكن يمكن الإحساس بالزلزال فقط، ومن ٤: ٦ يكون الزلازل متوسط الأضرار، أما من ٧: ١٠ درجات يستطيع الزلزال تدمير المدينة بأكملها وتختفي تحت الأرض، مع أضرار واسعة في المدن المجاورة لها، ويعتبر الزلزال عظيمًا إذا بلغ ٨ درجات، ويلاحظ أن كل وحدة زيادة تمثل زيادة بمقدار عشرة أضعاف في قوة الزلزال، ولم يحدث أن تجاوز الزلزال عشر درجات، ولا يتصور ما يمكن أن يحدث حينها.

الشر بعضه أهون من بعض:

رغم فداحة المصاب في إخواننا بالمغرب، إلا أنه حينما نتذكر الزلازل الأخرى الأكثر فداحة نعلم أن الشر بعضه أهون من بعض، فزلزال طوكيو في أول سبتمبر عام ١٩٢٣م والمعروف بزلزال كانتو الكبير والذي بلغت قوته ٨،٢ درجات بمقياس رختر، وهو أقوى زلزال تعرضت له اليابان، نتج عنه اندلاع حرائق واسعة النطاق التهمت مناطق كثيرة من طوكيو، وأعقبه تسونامي بارتفاع ٤٠ قدم، وراح ضحيته أكثر من ١٤٢٠٠٠ قتيل، وانهيار أكثر من ٥٠٠ ألف مبنى وتشريد مليوني شخص.

وزلزال تانغشان العظيم في الصين في ٢٨ يوليو عام ١٩٧٦م وهو أكبر زلزال في القرن العشرين من حيث عدد الضحايا والذي جاوزوا النصف مليون قتيل وأكثر من مائة وخمسين ألف مصاب.

وزلزال جيلان بإيران في ٢١ يونيه ١٩٩٠م والذي خلف أربعين ألف قتيل و٦٠ ألف جريح ونحو نصف مليون مشرد.

وزلزال أزمير بتركيا عام ١٩٩٩م، والذي خلف نحو ١٧٠٠٠ قتيل ونصف مليون شخص بلا مأوى.

وزلزال جوجارات بالهند والذي أزهق ٣٠٠٠٠ نفس و١٦٧٠٠٠ جريح، ودمر ما يقارب ثلاثمائة وخمسين ألف مبنى.

وزلزال مدينة فالديفيا في تشيلي في ٢٢ من مايو ١٩٦٠م، والذي صُنف بأنه أكبر الزلازل في العالم وأشدها تدميرًا حيث بلغت قوته ٩،٥ درجة، وأحدث موجات تسونامي ارتفاعها ٢٥ مترًا، وامتد إلى جنوب شرق أستراليا، واليابان وهاواي والفلبين.

وزلزال سومطرة في إندونيسيا في ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤م وقوته ٩،١ درجة، والذي امتد إلى ١٤ دولة وخلف ٢٢٧٩٠٠ قتيل، وشرد ما يقرب من ١،٧ مليون إنسان.

الزلازل تظهر قدرة الله تعالى:

وقوع الزلازل يشتمل على حكم بالغة لله عز وجل؛ فهي تظهر قدرة الله تعالى وعظمته، كما تظهر الزلازل ضعف العباد وعجزهم وقلة حيلتهم، وتكشف عن مدى العجز الإنساني تجاه قدرة الله تعالى، وتكشف عن أن البشر مهما أوتوا من قوة وعلم لن يستطيعوا منع حدوث تلك الزلازل، ولا

التخفيف من آثارها، وأن القوة المزعومة للإنسان مهما بلغت لا تساوي شيئًا إذا قورنت بزلزال واحد مدمر، أو تسونامي مغرق ومهلك، أو إعصار يقتلع الأخضر واليابس، فيذل الإنسان ويخضع للواحد القهار القائل: "وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" الإسراء: ٥٩.

والزلازل يهلك الله بها الظالمين؛ لقوله تعالى عن ثمود لما كذبوا نبيه الله صالح وعقروا الناقة: "فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ" الأعراف: ٧٨.

وهي تذكر بالزلزال الأكبر عند قيام الساعة والذي سيضرب الأرض كلها وليس بقعة منها؛ يقول سبحانه: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ" الحج: ١-٢.

والزلازل رغم الكوارث التي تسببها تشتمل على فوائد جمّة؛ فهي تعيد تشكيل سطح الأرض فتظهر الجبال والمرتفعات، ويفجر الله بها ينابيع المياه التي لم يكن لإنسان سبيل في الوصول إليها، كما أنها تؤدي إلى خروج الثروات غير المكتشفة والمعادن من باطن الأرض، وخاصة النادرة كاليورانيوم والماس والذهب. بل إنها تؤدي إلى ظهور آبار بترول وغاز طبيعي لم يكن لها وجود من قبل.

الزلازل ابتلاء من الله لعباده:

فالمولى سبحانه يبتلي عباده بالإنعام عليهم؛ وبالمصائب التي تنزل بهم، يقول سبحانه: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: ٣٥)، والزلازل يبتلي بها المولى سبحانه بعض عباده بفقد أحبتهم وذويهم، وبفقد عقاراتهم وأملاكهم التي تصبح أثرًا بعد عين، بل إن بعض الزلازل تزيل قرى بأكملها فلا يبقى لها أثر، فيبقى العباد لا حول لهم ولا قوة، فيلجئون إليه سبحانه ليكشف عنهم الضر، فالزلازل من الآيات التي يُخوِّف الله بها عباده، كما يُخوِّفهم بالكسوف وغيره من الآيات؛ ليتوب العاصي وينتبه الغافل.

> “الزلازل من الآيات التي يُخوِّف الله بها عباده، كما يُخوِّفهم بالكسوف وغيره من الآيات؛ ليتوب العاصي وينتبه الغافل.”

فيحدث من ذلك لعباده الخوف والخشية، والإنابة والإقلاع عن المعاصي والتضرع إلى الله سبحانه. كما يشعر الإنسان بمدى تقصيره حينما يغفل عن شكر الله عز وجل حينما يصبح ويمسي آمنًا في سربه معافى في بدنه، والأرض مستقرة يمارس حياته عليها على النحو المعتاد، ولكن لا يشعر الإنسان أن هذه من النعم المستوجبة للشكر إلا حينما يشاهد زلزالاً أو يرى بركانًا؛ فيدرك مدى سعة فضل الله، ومدى تقصيره في شكر الله على آلائه ونعمه.

الزلازل تزيد المؤمنين خشية:

على المسلم حينما يرى الزلازل والأعاصير أن يفزع إلى ذكر الله ويتضرع بالدعاء، ويتعوذ بالله عز وجل من عذابه لقوله تعالى: "فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ" الأنعام: ٤٣.

ولنتأمل صنيع النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية من سورة الأنعام: "قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ"؛ يقول جابر رضي الله عنه: لما نزلت: " قل هو القادر

على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم": قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك، ولما قال: "أو من تحت أرجلكم" قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعوذ بوجهك، ولما قال: "أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض": قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا أهون، أو: هذا أيسر (صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن).

والشاهد تعوُّذ النبي وخشيته من نزول العذاب، فكيف إذا نزل؟ وقد فسَّر العلماء قوله تعالى: "أو من تحت أرجلكم" بالخسف والرجفة (الزلازل).

فالزلازل من سنن الله في هذه الأرض يصيب بها ما يشاء من البلاد، إما تذكيرًا بقدرته جل وعلا، حتى يخافه العباد، ويتوجهوا إليه، فعلى المسلم حينما تزلزل الأرض وترجف أن يفزع إلى الصلاة، لأنه لما حدث كسوف الشمس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فزع إلى الصلاة وجمع المسلمين لذلك، وقال كما في حديث ابن عباس: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله" (متفق عليه).

ولحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: "استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: سبحان الله، ماذا أنزل من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن، مَن يُوقظ صواحب الحجر -يريد به أزواجه- حتى يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة" (صحيح البخاري، كتاب الأدب).

ولكن لا تشرع الصلاة جماعة كما في صلاة الكسوف، ولا تكون الصلاة بهيئة صلاة الكسوف، وإنما على هيئة الصلاة المعروفة. كما يستحب في الكوارث مواساة المنكوبين، ومد يد العون للمعوزين، بالمال، وبالدواء، وبالتبرع بالدماء خاصة عند نزول النكبات، وإن عجزت عن ذلك فبالدعاء، فإن كانوا في بلد آخر وعجزت عن مواساتهم فعليك بالصدقة على الفقراء والمساكين في بلدك برًا ورحمة بهم وتقربًا إلى الله. ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (جامع الترمذي - أبواب البر والصلة - باب ما جاء في رحمة الناس. وسنن أبي داود : كتاب الأدب، باب في الرحمة).

> **جرت سنة الله تعالى في الأمم السابقة أن يمهلهم ؛ حتى إذا تمادوا في غيهم، وظنوا أنهم أمنوا مكر الله أتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا.**

الزلازل عقاب للعصاة والظالمين:

جرت سنة الله تعالى في الأمم السابقة أن يُمهلهم؛ حتى إذا تمادوا في غيهم، وظنوا أنهم أمنوا مكر الله أتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، وبيَّن سبحانه وتعالى أن المؤمن يخشى ذنوبه ويخاف شؤم المعصية لربه، ولا يؤمن عذاب الله له في وجل وخشية لربه، أما المشركون والعصاة فيرى ذنبه هينًا، ويرى نفسه في مأمن من عذاب الله، وهؤلاء هم الخاسرون لقوله تعالى: "أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ" (سورة الأعراف: ٩٩).

ويبين المولى سبحانه صورًا لإهلاك الأمم السابقة جزاء كفرهم وتكذيبهم كان منها الزلازل التي ابتلعت قراهم في باطن الأرض: قال تعالى: "فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" العنكبوت: ٤٠.

ويبين المولى سبحانه كيف يمكن أن يعذب الكافرين بالزلازل فيقول سبحانه مصورًا ذلك: " قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ " (النحل: ٢٦).

وبيّن سبحانه أن هذه المصائب التي تنزل بالناس هي من كسب أيديهم، فيقول سبحانه: " ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ " الروم:٤١. ويقول تعالى: " وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ " الشورى: ٣٠.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد زلزلت المدينة، أنه قال: لئن عادت لا أساكنكم فيها، فهذه صفية بنت أبي عبيد (زوجة ابن عمر) تقول: زلزلت الأرض على عهد عمر، حتى اصطفقت السرر، وابن عمر يصلي، فلم يدر بها، ولم يوافق أحدًا يصلي فدرى بها، فخطب عمر الناس، فقال: أحدثتم؛ لقد عجلتم. قالت: ولا أعلمه إلا قال: لئن عادت، لأخرجن من بين ظهرانيكم (السنن الكبرى للبيهقي، كتاب صلاة الخسوف، باب لا يصلى جماعة عند شيء من الآيات غير الشمس والقمر)، (مصنف ابن أبي شيبة، من أبواب صلاة التطوع، في الصلاة في الزلزلة).

وقول عمر لرعيته فيه إشعار أن ما حدث سببه الذنوب التي استُحدثت والمعاصي التي ارتُكبت، وكأنه يؤكد أن هذا الزلزال سببه الذنوب والمعاصي، وينكر عليهم، وينتوي مفارقتهم حال عودته مرة أخرى.

ولأن البعض يسرف في لوم المضارين من جراء الزلازل وتقريعهم مع عظم مصابهم، وكأن الزلزال عقوبة لهم، وقد يكونون من أهل الديانة، ومنهم الشيخ العابد، والصغير الذي لم يَجْرِ عليه القلم، والوقَّاف عند حدود الله، وهذا ما يدعونا إلى بيان أمر هام في العنصر التالي.

الزلازل شهادة للمسلمين:

ليست كل هذه الزلازل عقابًا إلهيًا على الذنوب والمعاصي، ولو كان البلاء سخطًا من الله فإن أشد الناس بلاء هم الأنبياء كما في حديث سعد بن أبي وقاص، بل ربما يصطفي الله عز وجل بعض عباده ليكونوا شهداء يغفر لهم ذنوبهم، ويرفع درجتهم في عليين، فيكون موتهم في الزلازل خيرًا لهم من نصب الدنيا وعنائها، ففي حديث أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه بجنازة، فقال: مستريح ومستراح منه. قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب" (متفق عليه).

والموت في الزلازل تحت الأنقاض بتهدم المنازل، ضَرْب من الموت بالهدم، الذي يكون صاحبه من شهداء الآخرة، لحديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله". (متفق عليه).

والمقصود بالشهداء في الحديث شهداء الآخرة، فلا تجري عليهم أحكام شهيد الدنيا (شهيد المعركة) من ترك تغسيله، وترك الصلاة عليه.

فلله ما أعطى وله ما أخذ، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وكل شيء عنده بمقدار، ونسأل الله تعالى الرحمة لشهدائنا في المغرب، وأن يربط على قلوب ذويهم، وأن يشفي مرضاهم شفاء لا يغادر سقمًا، وأن يجيرهم في مصيبتهم خيرًا، وأن يخلفهم خيرًا منها. اللهم آمين يا رب العالمين.

الإسلام في إفريقيا..

بين التاريخ المنسي والأيدي الخفية

إعداد **أ.د. عبد الوارث عثمان**
أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فإن رسالة الإسلام الخالدة تواجه حملة كاذبة ظالمة تواطأ أعداء الإسلام فيها على وصف الإسلام بأنه دعوة للإرهاب، وأنه منبع للعنف وسفك الدماء، ولذلك فهم يواصلون ليلهم بنهارهم، ويتواصى الأقصى منهم والأدنى بأنه لا خلاص للعالم مما هو فيه إلا بالقضاء على هذا الدين. إنها حرب باغية جائرة شنّها أعداء الإسلام على هذا الدين في حياة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، حشدوا فيها كل ما يملكون، وكل ما اخترعته عقولهم من فنون الحرب، وهذا موضوع واسع مستفيض، يحتاج إلى بحث مستقل.

ولكننا سنلقى الضوء على ما خلّفته تلك الحرب المستعرة المستمرة على جزء مهم من العالم الإسلامي، ألا وهو قارة إفريقيا؛ حيث نلحظ آثار هذه الحرب الخبيثة عندما يستغرب كثيرون وجود مجتمعات إسلامية في إفريقيا غير العربية، مثل نيجيريا ومالي، والتي تسعى لقيام دولة إسلامية خاصة بها، من قبيل إعلان "الطوارق" الذي يُظهر نيتهم الواضحة في إقامة دولة إسلامية شمال مالي، ومبعث هذا الاستغراب أن دول إفريقيا غير العربية في أذهان الكثيرين لا علاقة لها بالإسلام! وهذا التصور الذهني المغلوط جزء من هذه الحرب المنهجة على عقول المسلمين وثقافتهم وهويتهم؛ إذ إن وسائل الإعلام والتعليم والتثقيف في عالمنا العربي لا تقوم بتعريف المسلمين بجيرانهم الأفارقة، وإخوانهم من المسلمين وشركائهم في المآسي والمصائب والفقر والتخلف والتبعية، لكنهم يعملون بجد في نشر أدق التفاصيل في حياة محتلينا من الأوروبيين؛ فأصغر طفل عندنا يعرف أسماء نواديهم ولاعبيهم وراقصيهم ومغنيهم وهكذا! وهو ما يخدم السياسة الصهيونية الرامية

إلى تمزيق الأمة وشرذمتها.

وتعد إفريقيا ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة وعدد السكان بعد قارة آسيا، وتعتبر القارة الأولى في العالم في عدد المسلمين؛ حيث يشكل المسلمون حوالي ٥٢٪ من سكانها، فيما يشكل المسلمون غالبية السكان في ٢٩ دولة إفريقية "من إجمالي ٥٣ دولة"، يتمركزون في شمال وغرب القارة. كما أن الإحصائيات تفيد أن بين كل عشرة أشخاص في إفريقيا يتركون الديانات الوثنية التقليدية، يدخل تسعة منهم في الإسلام وواحد في المسيحية.

> تعد إفريقيا ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة وعدد السكان بعد قارة آسيا، وتعتبر القارة الأولى في العالم في عدد المسلمين

ومع ذلك لا تهتم بها مناهجنا الدراسية أو برامجنا الإعلامية والثقافية؛ مما يسهل للصهاينة من الغرب والشرق عملية الغزو الفكري والأخلاقي للعالم الإسلامي، وامتصاص خيرات إفريقيا ونهب ثرواتها واستعباد أهلها بواسطة الفقر والجهل والمرض، وذلك في مسيرة من الظلم لإفريقيا تمتد لمئات الأعوام. وقد نبهت بعض المراجع على أن الظلم لإفريقيا وصل أيضًا لخريطتها المنتشرة، حيث لا تمثل الحجم الحقيقي للقارة، بل هي تظهر على الخرائط بحجم أصغر من حقيقتها؛ إذ تبلغ مساحتها أكثر من ضعفي أوروبا!

وقد هاجر بعض الصحابة إلى الحبشة بإفريقيا قبل الهجرة إلى المدينة؛ فرارًا من بطش أئمة الكفر من قريش. فمباشرة من مكة لإفريقيا كان مسار الإسلام، ولكن من ينتبه لهذه الصلة القديمة بين الإسلام وإفريقيا؟! وببقاء الصحابة هناك عدة سنوات، وحماية الملك النجاشي لهم، وسماحه بأن يعرضوا عليه وعلى بطارقته ورهبانه ووجهاء القوم في مملكته حقائق الإسلام. وتركهم بعد ذلك يعبدون الله بحرية تامة كان من نتائج ذلك أن أسلم بعض أهل الحبشة ومنهم النجاشي نفسه. ولكن بعد رجوع الصحابة للمدينة، ضعفت الدعوة الإسلامية في الحبشة.

وفي خلافة عمر الفاروق رضي الله عنه تم فتح مصر بوابة إفريقيا، ومن ثم طرابلس. وفي عهد عثمان رضي الله عنه تم فتح تونس، وبعد توسع الإسلام في المنطقة. وكان البربر هم حملة اللواء لنشر الإسلام في ربوع تلك المناطق، ومنهم القائد طارق بن زياد. وبذلك يكون شمال إفريقيا وغربها قد دخل في كنف الإسلام. وهذه هي المرحلة الأولى.

ومن ثم بدأت قوافل التجار والقبائل المهاجرة تنقل الإسلام لمنطقة وسط إفريقيا.

كما أن التجار بين الجزيرة العربية وشرق إفريقيا أوصلوا الإسلام لشرق القارة.

لكن بسبب وجود الجبال في شرق القارة لم يتغلغل الإسلام كثيرًا فيها لصعوبة وصول التجار إليها، بخلاف غرب إفريقيا ذات السهول المنبسطة، والتي ساحت فيها الدعوة الإسلامية؛ فعبر الإسلام الصحراء الكبرى ووصل إلى الغابات الاستوائية على الساحل الغربي للقارة. وعبر الرحلات البحرية وصل الإسلام من موانئ لدول تنزانيا وكينيا وموزمبيق على الساحل الشرقي الجنوبي. وهذه هي المرحلة الثانية من تاريخ الإسلام في إفريقيا.

وقد استقر الإسلام وازدهر في غالبية أنحاء القارة الإفريقية، حتى ظهرت عدة ممالك إسلامية كبيرة في إفريقيا، ذكر

بعض أخبارها ابن بطوطة في رحلته. من هذه الممالك مملكة غانا (١٠٧٦-١٢٤٠م)، والتي قضي عليها على يد مملكة إسلامية أخرى هي مملكة الماندينغ في مالي، وبقيت حتى العام ١٦٧٠م. فقامت على أنقاضها دولة أخرى هي دولة سونغاي التي حملت أيضًا لواء الإسلام وتوسعت جنوبًا، لكنها انهارت في القرن السادس عشر الميلادي.

وسادت فترة فوضى مدة قرنين، حتى جاءت قبائل الفولاني المسلمة لتؤسِّس دولة إسلامية جديدة واسعة في غربي إفريقيا. وأيضا كان هناك مملكة وداي الإسلامية في جنوب الصحراء (١٦١٥-١٩٠٩م)، التي أقامها العالم المجدد عبد الكريم بن جامع، والتي قضى عليها الاستعمار الفرنسي.

ومملكة باقرمي القريبة من بحيرة تشاد، وأنشأها السلطان "برني بيسي" عام ١٥١٣م وكان وثنيًا، ويعد السلطان عبدالله بن مالو (١٥٦١-١٦٠٢م) أول سلطان مسلم فيها. وبذلك تحولت إلى دولة إسلامية، وبقيت حتى عام ١٨٩٢م.

وبعد ذلك، بدأت الحملات الأوروبية تجوب إفريقيا فيما عُرف بالكشوف الجغرافية التي مهّدت لغزو احتلال بلاد المسلمين وغيرهم في إفريقيا وآسيا، فقامت العديد من الحركات الجهادية في شمال إفريقيا وشرقها وغربها، ونجحت في إقامة دول إسلامية مترامية الأطراف.

فالشيخ عثمان فودي "فوديو" تمكن من تأسيس دولة الفولاني الإسلامية "مملكة سوكوتو" (١٨٠٥-١٩٠٣م) في نيجيريا، والتي قضى عليها الاحتلال البريطاني. وقد كانت دولة قوية ومتقدمة شهد لها حتى المستشرقون.

وظهر الشيخ أحمدو بن محمدو لوبو في منطقة ماسينة في السودان الغربي، وقام بتأسيس دولة ماسينا الإسلامية عام ١٨١٠م، والتي تميزت بتنظيم إداري دقيق، وبصلتها مع الدولة العثمانية. وبقيت هذه الدولة حتى عام ١٨٩٣م؛ إذ قضى الاستعمار الفرنسي عليها.

أما الشيخ عمر تال الفوتي، فقد قام بدور واسع في نشر الإسلام ومحاربة الوثنيين في بلاد التكرور والسنغال، لكنه لم يتمكن من تأسيس دولة مستقرة بسبب استشهاده مبكرًا. لكنَّ أتباعه واصلوا مسيرته حتى هُزِموا أمام الفرنسيين.

وقاد الشيخ سليمان بن راسين ثورة إسلامية، وأسس مملكة إسلامية عام ١٧٧٦م في منطقة فوتا تورو بالسنغال.

هذه كانت نبذه مختصرة عن بعض الممالك والدول الإسلامية التي لا يعرفها اليوم كثير من الباحثين والمثقفين، فضلاً عن عامة المسلمين.

وقد رافق هذه الدول انتشار اللغة العربية؛ إذ كانت هي اللغة السائدة، وكان العلماء في إفريقيا بالآلاف، وكانت الكتب والمكتبات عامرة. ولا يفوتنا أن نذكر دور القبائل التي هاجرت إلى إفريقيا، سواء من الشمال أو عبر مصر والسودان، أو من الجزيرة العربية عبر الموانئ الشرقية لإفريقيا في نشر الإسلام ولغة القرآن الكريم هناك.

لكن الاستعمار وخاصة الفرنسي عمل على سلخ المسلمين الأفارقة عن اللغة العربية عبر إحلال الفرنسية لغة للدوائر الرسمية، ومن ثم حارب المدارس العربية، وبعد ذلك بدأ يصادر الكتب العربية، حتى إن الحجّاج العائدين من مكة كانت تفتّش أمتعتهم بحثا

«الاستعمار وخاصة الفرنسي عمل على سلخ المسلمين الأفارقة عن اللغة العربية عبر إحلال الفرنسية لغة للدوائر الرسمية»

عن الكتب العربية ويتم حرقها. وهذا أدّى إلى ضعف الإسلام في نفوس البعض.

كما أن الحملات التنصيرية المدعومة من ساسة الاستعمار تكفلت بدور كبير، وعزز ذلك انتشار الثقافة الشيوعية في القارة الإفريقية في الخمسينيات من القرن الماضي. وبذلك يتبين لنا رسوخ رسالة الإسلام في إفريقيا، وأن إفريقيا التي قام الاستعمار بتغيير خريطتها وتركيبتها ذات هوية إسلامية أصيلة.

وتقف الصهيونية العالمية بما فيها القوى الغربية التي لا تزال تستحوذ بوحشية مستبشعة على ثروات قارة إفريقيا من الذهب والمعادن والمنتجات الزراعية وغيرها، سدًا منيعًا أمام هويتها الإسلامية لتقوم إفريقيا بدورها كجزء مهم من العالم الإسلامي الكبير في النهضة والبناء.

أسباب العداء الأوروبي للإسلام كراهية لا جهل:

والصهيونية العالمية لا تعيق الأفارقة وحدهم عن الحفاظ على هويتهم الإسلامية، وانما تشنّ حربها الضروس على الأمة الإسلامية قاطبة، لذلك عندما نبحث عن أسباب المحاولات المستميتة للقوى الأوروبية عبر القرون السالفة والى اليوم التي تهدف إلى إقصاء الإسلام من إفريقيا بل والأرض كلها، يمكننا إيجاز هذه الأسباب في أمرين:

الأول: هو نهب ثروات الدول الإفريقية، والتي تعتمد عليها في بناء تقدمها الصناعي، ونموها الاقتصادي، ولن يتحقق دوام ذلك لها إلا بجعل هذه الدول الإفريقية تعاني بعمق وشدة من الصراعات الداخلية السياسية، وتتجرع كأس المذلة والهوان، ومرارة الجوع والفقر والمرض والحرمان في أزماتها الاقتصادية ونكباتها الاجتماعية وحظوظها العلمية، ومن شأن منهج الإسلام أن يُخلّصها من كل ذلك، ويبعثها من جديد لتحافظ على ثرواتها، ويكفل لها استقرارها ووحدتها ويكبح جماح نفوس أبنائها الطامعة في الحكم والثروة حتى ولو كان ذلك فيه خراب للبلاد والعباد وضياع للإمكانيات والأقوات وتمكين الدول الأوروبية من الاستيلاء على خيرات البلاد ومواردها الربانية.

الثاني: إن البعض يروّج لفكرة ملخصها أن الغرب يجهل الإسلام؛ لذلك فإنه يعاديه، ويكيل له التُّهَم، ويُثير حوله الشبهات، وهي فكرة بائسة تفتقد لإدراك الواقع وتجهل تاريخ صراع الغرب مع الإسلام. فإن أوروبا تعرف تاريخ الإسلام حق المعرفة من حيث هو عقيدة وشريعة وعبادات ومعاملات وأخلاق وقيم ومبادئ. وتعرف أن هذا الإسلام لو خُلّي وشأنه لأضاء كل المجتمعات المثقفة والجاهلة، ولما استطاعت أيديولوجية ولا مذهب أن تقف في طريقه. وبذلك عادوه وحاصروه في عقر داره وخارجه.

فهل بعد هذا يقال: إن الغرب يجهل الإسلام ويجهل المسلمين ولذلك يعاديهم؟!

ومما لا يعرفه الكثيرون منا-نحن العرب والمسلمين- أن الغرب منذ مدة يحرص على اقتناء كل ما يُكتب وما يُطبع أو يُنشر في العالم الإسلامي حتى لو كان كتابًا في فنون التعليم العام والخاص أو في السيرة أو في التاريخ، يُوضع هذا كله في مراكز مُعدّة إعدادًا فنيًا هائلاً للاطلاع، ثم البحث والدراسة؛ ليعرفوا ماذا نقول، وما نكتب، وكيف نفكّر، ويقف على كل صغيرة وكبيرة في العالم الإسلامي.

هذا هو الغرب يجمع عن العالم الإسلامي من المعلومات كل ما يفيده. ولا يزال هذا النظام مُتّبعًا إلى هذه اللحظة، ومن ثم لا يسوغ القول: إن الغرب يجهلنا.

نسأل الله السلامة والعافية.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

التوحيد سبب لانشراح الصدر

قال الله تعالى: «أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ» (الزمر: ٢٢).

من دلائل النبوة

عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما؛ قال: قال رسول الله صلَى الله عليه وسلّم: «إنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ أُبْعَثَ إنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ». (صحيح مسلم: ٢٢٧٧)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

التوحيد سبب للنجاة من النار

عن أبي مالك عن أبيه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله».

(صحيح مسلم:٣٧)

من أقوال السلف

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " من أحدث رأيا ليس في كتاب الله، ولم تمض به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يدر ما هو عليه إذا لقي الله عز وجل"

الاعتصام الشاطبي

من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم، فضربه برجله، قال: «اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق، أو شهيدان» (صحيح البخاري: ٣٦٨٦).

إعداد: علاء خضر

من معاني الأحاديث

«من قرأ الآيتين من آخر البقرة في ليلة كفتاه»؛ أي أغنتاه عن قيام الليل. وقيل: أراد أنهما أقل ما يجزئ من القراءة في قيام الليل. وقيل: تكفيان الشر وتقيان من المكروه. (النهاية في غريب الحديث).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

عن عليَ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلَى الله عليه وسلَم: «قُلِ اللَّهُمَّ اهْدِني وسَدِّدْني، واذْكُرْ بالْهُدى هِدايَتَكَ الطَّرِيقَ، والسَّدادِ سَدادَ السَّهْمِ» (صحيح مسلم: ٢٧٢٥).

من حكمة الشعر

قال الشاعر: في الصمت وحفظ اللسان:

من لزم الصَّمت اكتسى هيبة
تُخفي على النَّاس مساويه
لسان مَن يَعقل في قلبه
وقلب مَن يجهل في فيه

(حُسن السمت في الصمت للسيوطي).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(أول ما خلق الله نورُ نبيك يا جابر - الحديث). رواه عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله، وهو حديث موضوع مكذوب؛ لذا من الخطأ الفاحش أن تقول عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أول خلق الله! ويا نور عرش الله".

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

قال الإمام الفاكهي: لا أعلم لهذا المولد أصلا في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون.

(المورد في عمل المولد ص٩٠٨).

التفصيل

في حكم منع الزوج زوجته من زيارة أبويها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

إن مما عمت به البلوى، وانتشر بين الناس الآن انتشارًا واسعًا: مسألة منع الزوج زوجته من زيارة أهلها، بل من زيارة أبويها، فغالب البيوت الآن يقع فيها هذا الأمر بشكل أو بآخر. ولننظر إلى هذه المسألة من جوانبها المتعددة.

إعداد د. متولي البراجيلي
دكتوراه في الشريعة - جامعة القاهرة

أولاً: لا شك أن المرأة إذا تزوجت فلا يجوز لها الخروج من بيت زوجها إلا بإذنه، إلا في بعض الحالات الضرورية التي لا بد منها، كمثل الخوف من هدم بيت، أو الفرار من حريق، أو الاستفتاء في مسألة فقهية يجب عليها السؤال عنها ومعرفتها، إذا لم يقم الزوج بالسؤال لها أو اصطحابها للسؤال..

وفي الموسوعة:

واستثنى الفقهاء من ذلك خروج المرأة بغير إذن زوجها في حالة النفير العام، بهجوم العدو على المسلمين، واستثنى الحنفية من ذلك خروجها لخدمة أبيها الزَّمِن الذي ليس له من يخدمه (انظر الموسوعة الفقهية ٣/١٥٥).

ومن ذلك أيضًا: خروجها إلى مجلس العلم؛ إذا وقعت لها نازلة وليس الزوج فقيهًا، ومنها الخروج إلى حجَّة الفرض إذا وجدت محرمًا تخرج معه وليس للزوج منعها من ذلك (انظر الموسوعة ٣/١٥٥ الفقهية الكويتية: ٢٤/٥٨).

ثانيًا: مذاهب الفقهاء في خروج المرأة لزيارة والديها:

١ - الحنفية: وقيل: لا يمنعها من الخروج إلى الوالدين، ولا يمنعها من الدخول عليهما في كل جمعة، وهو الصحيح (انظر البناية شرح الهداية ٥/٦٨٢، فتح القدير ٤/٣٩٨).

قال ابن نجيم: ولو كان أبوها زَمِنًا مثلًا، وهو يحتاج إلى خدمتها، والزوج يمنعها من تعاهده، فعليها أن تعصيه، مسلمًا كان الأب أو كافرًا، كذا في فتح القدير.

وقد استفيد مما ذكرناه أن لها الخروج إلى زيارة الأبوين والمحارم، فعلى

الصحيح المفتى به: تخرج للوالدين في كل جمعة بإذنه وبغير إذنه..... (البحر الرائق ٤/ ٢١٢).

وفي الموسوعة الفقهية، الراجح عند الحنفية أنه يجوز للمرأة أن تخرج من بيت الزوجية لزيارة أبويها كل أسبوع..... وإن لم يأذن زوجها (انظر الموسوعة الفقهية الكويتية ٨/ ٢٣٨).

٢- المالكية: في التاج والإكليل: وفي العتبية: ليس للرجل أن يمنع زوجه من الخروج لدار أبيها وأخيها، ويقضى عليه بذلك خلافا لابن حبيب. (٥/٥٤٩).

وفي الموسوعة: وأجاز المالكية للمرأة الخروج من بيت الزوجية لزيارة والديها، ويقضى لها بزيارتهما مرة كل أسبوع، إن كانت مأمونة ولو كانت شابّة، وحالها محمول على الأمانة حتى يظهر خلافها، وإن حلف أن لا تزور والديها يحنث في يمينه..... (انظر الموسوعة الفقهية: ٨/٢٣٨).

وفي العتبية:.... وسئل مالك عن المرأة يغيب عنها زوجها فيمرض أخوها أو أمها أو أختها فتريد أن تأتيهم تعودهم، ولم يأذن لها زوجها حين خرج. قال: لا بأس بذلك أن تأتيهم، وإن لم يأذن لها زوجها حين خرج (انظر التاج والإكليل لمختصر خليل ٥/٥٤٨-٥٤٩).

٣- الشافعية: قال في أسنى المطالب: وللزوج منع زوجته من عيادة أبويها، ومن شهود جنازتهما وجنازة ولدها، والأولى خلافه (٢/٢٣٩).

وفي الموسوعة: وجوز الشافعية خروج المرأة لزيارة أهلها والمحارم – على المعتمد عندهم – حيث لا ريبة، وكذا عيادتهم، وتشييع جنازتهم، ولو في غيبة الزوج من غير إذن، أو منع قبل غيبته، فلو منعها قبل غيبته فليس لها الخروج، والمراد خروج بغير سفر وغيبة عن البلد (انظر الموسوعة الفقهية ٨/٢٣٩).

٤- الحنابلة: قال ابن قدامة: وللزوج منعها (زوجته) من الخروج من منزله إلى ما لها فيه بُدّ، سواء أرادت زيارة والديها أو عيادتهما، أو حضور جنازة أحدهما. قال أحمد في امرأة لها زوج وأم مريضة: طاعة زوجها أوجب عليها من أمها، إلا أن يأذن لها.

وقد روى ابن بطة في أحكام النساء: عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سافر ومنع زوجته من الخروج، فمرض أبوها، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادة أبيها، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقي الله، ولا تخالفي زوجك، فمات أبوها، فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضور جنازته، فقال لها: اتقي الله، ولا تخالفي زوجك، فأوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم: إني قد غفرت لها بطاعة زوجها. (قلت: الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الهيثمي في المجمع: فيه عصمة بن المتوكل، وهو ضعيف، وأخرجه عبد بن حميد كما في المنتخب، والحارث في مسنده، كما في بغية الباحث والمطالب العالية ٨/٣٤٨، من طريق يوسف بن عطية، وهو متروك، وضعفه الألباني كما في إرواء الغليل).

وقال ابن قدامة: ولأن طاعة الزوج واجبة، والعيادة غير واجبة، فلا يجوز ترك الواجب لما ليس بواجب، ولا

يجوز لها الخروج إلا بإذنه، لكن لا ينبغي للزوج منعها من عيادة والديها وزيارتهما؛ لأن في ذلك قطيعة لهما، وحملاً لزوجته على مخالفته، وقد أمر الله تعالى بالمعاشرة بالمعروف، وليس هذا من المعاشرة بالمعروف (انظر المغني ٢٢٤/١٠).

وفي الموسوعة الفقهية: عن الحنابلة... ولا تخرج بغير إذن زوجها إلا لضرورة، ولا يملك الزوج منعها من زيارتهما إلا مع ظن حصول ضرر يعرف بقرائن الأحوال بسبب زيارتها لهما، فله منعهما حينئذ من زيارتهما دفعًا للضرر (انظر الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣٩/٨).

ثالثًا: أحاديث لم تصح هذه المسألة:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من خثعم أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبي الله إني امرأة أيم، وإني أريد أن أتزوج، فما حق الزوج على زوجته؟...... وفيه... حق الزوج على الزوجة أن لا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت ذلك لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب. (رواه البزار ١٧٧/٢، وأبو يعلى في المسند ٣٤٠/٤، وفيه حسين بن قيس وهو المعروف ب (حنش)، وهو متروك،

وضعّفه المنذري في الترغيب ٧٧/٣، والألباني في الضعيفة ح ٣٥١٥).

٢- أيما امرأة خرجت من غير أمر زوجها، كانت في سخط الله حتى ترجع إلى بيتها أو يرضى عنها.

(قال الألباني: موضوع، السلسلة الضعيفة ٨٨/٣).

٣- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتت امرأة نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقالت يا رسول الله، ما حق الزوج على زوجته.... وفيه: ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن فعلت، لعنتها ملائكة السماء، وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى تتوب أو ترجع.

قالت: يا نبي الله: فإن كان لها ظالما؟ قال: وإن كان لها ظالمًا.... (رواه ابن أبي شيبة في المصنف ح ١٧٤٠٩، وعبد بن حميد في المسند ح ٨١٣، وأبو داود الطيالسي في المسند ٤٥٦/٣، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٩٢/٧).

جميعهم من طريق ليث بن أبي سليم عن عطاء عن ابن عمر، والحديث ضعيف فيه ليث بن أبى سليم: ضعيف (انظر تهذيب التهذيب ٤٦٨/٨)، وضعفه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ١٨٩/٥، وضعفه الألباني في الضعيفة ح ٣٥١٥).

قلت: ولم أقف على حديث صحيح -على ما أعلم- في لعن المرأة التي تخرج من بيت زوجها بغير إذنه، وليس معنى ذلك هو جواز خروج المرأة بغير إذن زوجها، وانما الكلام عن لعن الملائكة، لعدم صحة الأحاديث الواردة في ذلك.

رابعًا: إن الأصل أنه لا يجوز للمرأة أن تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، ومما يستدل به على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" (متفق عليه). قال في المنتقى: "قوله: لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، دليل على أن للزوج منعهن من ذلك، وأن لا خروج لهن إلا بإذنه، ولو لم يكن للرجل منع المرأة من ذلك، لخوطب النساء بالخروج، ولم يخاطب الرجال بالمنع (انظر المنتقى شرح الموطأ ٣٤٢/١).

ومما يستدل به على ذلك أيضًا ما جاء في قصة الإفك، وقول عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: أتأذن لي أن آتي أبويّ (متفق عليه).

قال العراقي: وقولها أتأذن لي آتي أبوي: فيه أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبويها إلا بإذن زوجها، انظر طرح التثريب ٨/٥٨).

قلت: وفيه أيضًا عدم منع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها من الذهاب إلى أبويها عندما استأذنت.

خامسًا: فتاوى لكبار العلماء المعاصرين:

١- الشيخ ابن باز يرحمه الله: لما سئل من زوج: هل منع زوجتي عن زيارة بيت والديها يعتبر قطعًا لصلة الرحم ؟ فقال: منعها لا يجوز، لا بد من تنظيم لزيارة لا تضرك، ولا يحصل بها قطيعة، الواجب تمكينها من زيارة أبيها وإخوتها؛ لصلة الرحم.

إلا إذا كانت الزيارة يترتب عليها فساد، إذا كان في بيت أبيها شر... أو يدعوها إلى منكر فلا بأس أن يمنعها، أما إذا كان أبوها طيبًا وسليمًا، ولا يترتب على زيارتها ما يضرك ولا يضرها، فلا تمنعها؛ لأن منعها من قطيعة الرحم، ومن العقوق فلا ينبغي لك منعها.... ومن عرف المسلمين أن المرأة تزور أباها وتزور أمها وتزور أقاربها، فليس لك أن تمنعها إلا إذا كانت الزيارة فيها شر تضرها في دينها أو تضرك، فلا بأس أن تمنعها إذا كان أبوها فاسقًا.... أو أخوها أو عمها (فتاوى نور على الدرب).

٢- الشيخ ابن عثيمين يرحمه الله.

السؤال: زوجها ملتزم منعها من زيارة الجيران والأهل محتجًا بقوله تعالى: (وقرن في بيوتكن).

فأجاب الشيخ:...... وأقول له (للزوج) أيضًا: إن من الالتزام أن يكون الإنسان لأهله خيرًا، وأن ييسر لهم الأمور، وألا يشدد عليهم، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي".

... وأن يكون – الزوج – لينًا سهلاً مع أهله، وألا يمنعهم من شيء قد يكون في ذلك حساسية، لا سيما إذا منع الزوجة من زيارة أهلها وأقاربها، فإن ذلك منع لها من صلة الرحم التي هي من واجبات الدين، وإذا كان يخشى عليها من الفتنة، إذا ذهبت فليذهب معها.... أما أن يمنعها منعًا باتًا، فإن هذا ليس بصحيح وليس من المعاملة الحسنة التي أمر الله بها... (موقع الشيخ/فتاوى نور على الدرب شريط ٢٧٧).

سادسًا: نصيحة:

يقول الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف)، ويقول: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)؛ فكيف يحق لك كرجل زيارة أبويك وأهلك، عندما تحب ذلك ولو في كل يوم، ثم تمنع زوجتك من زيارة أبويها وأهلها، فلا شك أنها تحبهم كما تحب أنت أبويك وأهلك، وأبواها يحبانها.

انظر كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل أمهات المؤمنين، وكيف كان قلبه متعلقًا بابنته فاطمة رضي الله عنها.

فاتق الله في زوجتك، ولا تقطع أرحامها، فقد تُبتلى بأبناء يقطعون رحمك كما قطعت أنت رحم زوجتك.

والحمد لله رب العالمين.

يدّعون محبته وقد استحقوا لعنته

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد خاتم الرسل وخير من وطئ الثرى ورفع لواء التوحيد وطمس معالم الشرك فما أعظمه.

كثر في زماننا أدعياء المحبة، وكل يدعي محبته لكن المقياس في الدعوى متابعته، فمن كان محبًا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر ويطيعه فيما أمر ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله. وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ »(آل عمران: ٣١).

إعداد **د. أحمد سليمان**
رئيس فرع بلبيس

وأصل الإشراك العملي بالله الإشراك في المحبة قال تعالى: « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ » فأخبر أن من الناس من يشرك بالله فيتخذ أندادًا يحبونهم كما يحبون الله، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حبًا لله من هؤلاء، والمؤمنون أشد حبًا لله من هؤلاء لأندادهم ولله، فإن هؤلاء أشركوا بالله في المحبة فجعل المحبة مشتركة بينه وبين الأنداد والمؤمنون أخلصوا دينهم لله الذي أصله المحبة لله فلم يجعلوا لله عدلاً في المحبة بل كان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، ومحبة الرسول هي من محبة الله. (انظر قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام: ٦٩)

وأصل الشرك في بني آدم وقع بهذا الأصل قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى"١٧/ ٤٦٠: (والشرك في بني آدم أكثره عن أصلين أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدعها الآدميون، وهو شرك قوم نوح).

ومما وقع فيه طوائف عدة من الناس تعظيمهم لقبور الأولياء والصالحين من العلماء وآل البيت وهم منهم برآء، فبنوا على قبورهم

المساجد وشيدوا حولها القصور وأقاموا لأجلها الموالد، فغالوا في المحبة، وفارقوا أهل المحجة، وكذبوا في دعوى المحبة.

كيف يكونون من المحبين وقد نهى سيد المرسلين عن اتخاذ القبور مساجد للزائرين وعن إضاءة السرج فيها فهو وسيلة من وسائل الشياطين، وهاهم يطوفون حولهم عابدين ولأجلهم تقدم القرابين بل والله طافوا حولها متعلقين بأستار القبر باكين، أفهؤلاء يحبون الشافع يوم الدين؟!!!!

لا يجتمع في دين الإسلام قبر ومسجد:

من أصول أهل السنة أنه لا يجتمع في دين الله قبر ومسجد، وقد تواترت الأدلة على النهي عن اتخاذ القبور مساجد، وعن إضاءتها وعن رفعها فوق الأرض وعن الصلاة عليها، وقد جمع الشيخ الألباني في رسالته (تحذير الساجد) أربعة عشر رواية صحيحة كلها تدور على هذه المعاني ومن هذه الروايات، حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه:

لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد. قالت: فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم لا تجعل قبري وثنًا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". وانظر تخريجه هناك.

وقال عقبها: لقد تبين من الأحاديث السابقة خطر اتخاذ القبور مساجد وما على من فعل ذلك من الوعيد الشديد عند الله عز وجل، فعلينا أن نفقه معنى الاتخاذ المذكور حتى نحذره فأقول:

الذي يمكن أن يفهم من هذا الاتخاذ إنما هو ثلاثة معان:

الأول: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها.

الثاني: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

الثالث: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها.

وقال الشوكاني: اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة رضوان الله عنهم إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها، كما يأتي بيانه، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين...

وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال: "قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا أدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبرا مشرفا إلا سويته". وفي صحيح مسلم أيضا عن ثمامة بن شفي نحو ذلك.

وفي هذا أعظم دلالة على أن تسوية كل قبر مشرف بحيث يرتفع زيادة على القدر المشروع واجبة متحتمة فمن إشراف القبور: أن يرفع سمكها أو يجعل عليها القباب أو المساجد. فإن ذلك من النهي عنه بلا شك ولا شبهة. ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعث لهدمها أمير المؤمنين عليا. ثم أمير المؤمنين بعث لهدمها أبا الهياج الأسدي في أيام خلافته.

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث جابر قال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يوطأ".

وإذا تقرر لك هذا علمت أن رفع القبور ووضع القباب والمساجد والمشاهد

عليها قد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله تارة كما تقدم. وتارة قال: "اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، فدعا عليهم بأن يشتد غضب الله عليهم بما فعلوه من هذه المعصية. وذلك ثابت في الصحيح، وتارة نهى عن ذلك. وتارة بعث من يهدمه وتارة جعله من فعل اليهود والنصارى.

انظر شرح الصدور بتحريم رفع القبور.

فالمتتبع لتاريخ البشرية من بعد قبورية قوم نوح إلى بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم يجد أن عبادة القبور هي الأساس، وما عبدت الأشجار والأحجار إلا تبعًا لها، ومن نظر في المجتمعات الشركية اليوم يرى بوضوح التأثر الشديد بالموتى من العلماء والصالحين

فالفلاسفة يذهبون إلى القبور عند الفزع: وقد صرح الرازي قائلاً: إن فلاسفة اليونان كانوا يستمدون الفيوض من القبور وأهلها إذا اعترتهم مشكلة من المشكلات، وكان الفلاسفة من تلاميذ أرسطو إذا دهمتهم نازلة ذهبوا إلى قبره للحصول على المدد والفيض) انظر "جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية" (ص٤١٦).

والبوذية تعبد بوذا وتعتقد أنه ابن الله، وقد عملت له التماثيل العظيمة، والمعابد الكبيرة وتصلي له وتعتقد أنه سيدخلها الجنة، وأنه يتحمل جميع أخطائهم.

واليهود والنصارى: اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، وتقدم ذكرها، وحذر النبي صلي الله عليه وسلم أمته من ذلك. وبما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم عن اليهود والنصارى عرفنا أنهم شر القبورية.

والعرب: كانت في الجاهلية تعبد الأصنام وهذا أمر معروف، ولهذا بعث رسول الله أصحابه ليهدموا معابد الشرك لما فتح مكة.

فالقبورية في أوساط المسلمين تعد وارثة لأصحاب الديانات المذكورة هنا.

وكان أول من باشر تأسيس عبادة القبور هم الباطنية حين قامت دولتهم في مصر، وفي بلاد المغرب، فأقاموا المآتم والمزارات، وبنوا المشاهد والقباب، وهم أول من أسس ضريح الحسين في مصر وهو من الكذب الصراح.

وسنوا بدعة الموالد، مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين، ومولد الخليفة منهم.

وقد رأينا في هذه الأيام هذه الوثنية إلى الأمة قد عادت وبدعوى إحياء ذكرى الصالحين خاصة من آل البيت قد راجت، فجددوا ما بلي منها وأناروا مصابيحها وزينوا جدرانها.

أفهذه هي المحبة التي تدعون وعليها تعادون ولأجلها من المال تنفقون، تالله إنكم لفي ضلال مبين إذ سويتم بين هؤلاء وبين رب العالمين.

ومن قواعد الملة سد الذرائع المؤدية إلى الشرك في العبودية، وقد علم علم اليقين ما فعلته القبور بمن شيدها من المحبين، وقد انتهى حالهم إلى الضلال المبين، وهل هناك ذنب أعظم من أن يشرك بالله في عبادته ودعائه ومسألته، فكل تحت عفوه ومشيئته إلا من أشرك في محبته وعبادته غيره، قال تعالى« إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ » (المائدة: ٧٢)، وقال تعالى:« إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ » (النساء: ٤٨).

فاللهم مسكنا بدينك وأمتنا على سنة نبيك وجنبنا وسائل الشرك وذرائعه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

فضائل العفو عن الناس

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ أما بعد فإن العفو عن الناس من الأخلاق الإسلامية المباركة التي ينبغي أن يتصف بها المسلمون، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد الشيخ صلاح نجيب الدق
عضو اللجنة العلمية فرع بلبيس

معنى العفو:

العَفْو: هو التَّجاوزُ عن الذَّنْب وتَرْكُ العقَاب عليه وأصْله المَحْوُ والطَّمْسُ، وهو من أبْنِيَة المُبالغة. (النهاية لابن الأثير ج٣ ص٢٦٥).

العفُوَ من أسماء الله الحسنى:

قال سبحانه: (ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) (الحج:٦٠).

العفو وصية الله لنبينا:

قال الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (آل عمران:١٥٩).

× وقال سُبْحَانَهُ لنبينا صلى الله عليه وسلم: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف:١٩٩).

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ الله: خُذ العَفْوَ مِنْ أَخْلاَقِ النَّاس، وَاتْرُكِ الغلْظَةَ عَلَيْهِمْ، وَقَال: أُمِرَ بذلك نَبِيُّ الله صلى الله عليه وسلم في المُشْرِكِينَ. (تفسير الطبري ج٩ ص١٥٥).

العفو وصية الله للمؤمنين:

حثنا الله تعالى في كتابه العزيز على العفو عن المخطئين وذلك في مواضع عديدة، وسوف نذكر بعضاً منها: قال الله تعالى: (إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا) (النساء:١٤٩).

قال الإمام ابن كثير رحمَهُ الله: إِنْ تُظْهِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ خَيْرًا، أَوْ أَخْفَيْتُمُوهُ، أَوْ عَفَوْتُمْ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُقَرِّبُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُجْزِلُ ثَوَابَكُمْ لَدَيْهِ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِهِ تَعَالَى أَنْ يَعْفُوَ عَنْ عِبَادِهِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى عِقَابِهِمْ. وَلِهَذَا قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا). (تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٣٠).

قال سُبْحَانَهُ: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ

اللَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ) (البقرة:١٠٩).

قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ) (التغابن:١٤).

العافون عن الناس أجرهم على الله:

قال سُبحانه: (وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمَنْ عفا وأصلح فأجرُه على الله إنه لا يحبُّ الظالمين) (الشورى:٤٠).

قال الإمام الطبري رحمه الله: فمَنْ عفا عمَّن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادرٌ ابتغاء وجه الله، فأجرُ عفوه ذلك على الله، والله مثيبُه عليه ثوابه. (تفسير الطبري ج٢٥ ص٣٨).

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: في قوله: (فمَنْ عفا وأصلح): إذا جثَت الأمم بين يدي الله عز وجل نادى منادٍ ليقم كل من كان أجرُه على الله فلا يقومُ إلا من عفا في الدنيا. (تفسير مجاهد بن جبر ص ٥٩١، القرطبي ج٦/ص٤).

العفو من صفات المؤمنين المتقين:

قال تعالى في وصف عباده المتقين: (وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربكم وجنةٍ عرضُها السماوات والأرض أُعدَّت للمتقين × الذين يُنفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يُحبُّ المحسنين) (آل عمران:١٣٣، ١٣٤).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قوله: (والكاظمين الغيظ) أي: لا يُعملون غضبهم في الناس، بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل. ثم قال تعالى: (والعافين عن الناس) أي: مع كف الشر يعفون عمَّن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال: (والله يُحبُّ المحسنين) فهذا من مقامات الإحسان. (تفسير ابن كثير ج٣ ص١٩١).

وصية نبينا صلى الله عليه وسلم لنا بالعفو عن الناس:

لقد أوصانا نبينا صلى الله عليه وسلم بالعفو عن الناس في كثير من أحاديثه الشريفة وسوف نذكر بعضاً منها:

١- روى مسلم عنْ أنس بن مالك أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم: قال: إنَّ الأنصار كرشي وعيبتي (جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم) وإنَّ الناس سيكثرون ويقلون فاقبلوا من مُحسنهم واعفوا عن مُسيئهم. (مسلم حديث ٢٥١٠).

٢- روى أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حدٍّ فقد وجب. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٣٦٨٠).

٣- روى أبو داود عن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسُول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤٣٠١).

العفو يرفع منزلة صاحبه عند الله:

عن أبي هُريرة عن رسُول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله. (مسلم، حديث ٢٥٨٨).

أقوال السلف الصالح في العفو:

هذه بعضًا من أقوال سلفنا الصالح في العفو عن المخطئين:

(١) سُئل أبو الدَّرداء: من أعزُّ الناس قال: الذي يعفو إذا قدر، أعفوا يُعزكم الله. (إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ ص٢٨٤).

(٢) قال علي بن أبي طالب: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للقدرة عليه. (المستطرف في كل فن مستطرف للأبشيهي- ط عالم الكتب، ص١٩٧).

(٣) قال معاوية بن أبي سفيان: عليكم بالحلم والاحتمال (احتمال الأذى)، حتى تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال. (إحياء علوم الدين للغزالي ج٣ ص٢٨٦).

(٤) قال الحسن البصري: أفضل أخلاق المؤمن العفو. (الآداب الشرعية لابن مفلح

الحنبلي ج١ ص٧١).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في العفو:

إن الله تبارك وتعالى قد أمر نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالعفو عن الناس فامتثل أمره. فكان نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في العفو عن الناس بقوله وفعله، وسوف نذكر بعضاً من ذلك:

١- روى البخاري عن جابر بن عبد الله قال غَزَوْنَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد فلمّا أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلّق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون وبينا نحن كذلك إذ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا فإذا أعرابيّ قاعد بين يديه فقال إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتا قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله فشامه (أعاده في الغمد) ثم قعد، فهو هذا قال ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البخاري حديث ٤١٣٩).

٢- روى الشيخان عن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبيّ صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا. (البخاري حديث ٣٢٣١/مسلم حديث ١٧٩٥).

٣- روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم يحكي نبيًا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. (البخاري حديث ٦٩٢٩/مسلم حديث ١٧٩٢).

٤- روى الشيخان عن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابيّ فجبذ بردائه (جذب) جبذة شديدة قال أنس فنظرت إلى صفحة عاتق النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء. (البخاري حديث ٦٠٨٨/مسلم حديث ١٠٥٧).

٥- عفو الرسول صلى الله عليه وسلم عن المرأة اليهودية:

روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن يهودية أتت النبيّ صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها فقيل ألا نقتلها؟ قال: لا. فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البخاري حديث ٢٦١٧).

٦- عفو الرسول صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة:

لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة، اجتمع له أهلها عند الكعبة ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال اذهبوا فأنتم الطلقاء. (سيرة ابن هشام ج٤ ص٤١٢).

صور من عفو الصحابة:

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

كان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثاثة لفقره وقرابته منه، وكان مسطح من الذين خاضوا في حادث الإفك، وتكلم في عرض عائشة، فلما علم أبو بكر بذلك، أقسم ألا ينفق عليه بعد ذلك، فأنزل الله تعالى: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور:٢٢) فقال أَبُو بَكْرٍ بلى والله يا رَبَّنَا إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا وَعَادَ لِمِسطح بما كان يَصْنَعُ. (البخاري حديث ٤٧٥٧).

٢- عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا. فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم (خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ) وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ. (البخاري حديث ٧٢٨٦)

(٣) قال أبو ذر لغلامه: لم أرسلت الشاة على علف الفرس (تأكل من طعام الفرس)؟ قال: أردت أن أغيظك. قال أبو ذر لأجمعن مع الغيظ أجراً، أنت حرٌ لوجه الله تعالى. (المستطرف - ط عالم الكتب، ص٢٠١).

صور من عفو التابعين:

(١) طلب الخليفة عبد الملك بن مروان رجلاً (أمر بالقبض عليه)، فأعجزه، ثم ظفر به، فقال رجاء بن حَيْوة: يا أمير المؤمنين: قد صنع الله ما أحببت من ظفرك به، فاصنع ما أحبَّ الله من عفوك عنه، فعفا عنه. (بهجة المجالس لابن عبد البر ج١ ص٣٧١).

(٢) أُحضرَ إلى الخليفة المأمون رَجُلٌ أذنب ذنباً، فقال له: أنت الذي فعلت كذا وكذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أنا ذاك الذي أسرف على نفسه واتكل على عفوك، فعفا عنه وخلى سبيله. (المستطرف للأبشيهي ص١٩٧).

(٣) جَاءَتْ جَارِيَةُ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ ذَاتَ يَوْمٍ بِصَحْفَةٍ (وعاء) فِيهَا مَرَقَةٌ حَارَّةٌ، وَعِنْدَهُ أَضْيَافٌ فَعَثَرَتْ فَصَبَّتِ المَرَقَةَ عَلَيْهِ، فَأَرَادَ مَيْمُونٌ أَنْ يَضْرِبَهَا، فقالت الجارية: يا مولاي، استعمل قول الله تعالى:(وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ). قَالَ لَهَا: قَدْ فَعَلْتُ. فَقَالَتْ: اعْمَلْ بِمَا بَعْدَهُ (وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ). فَقَالَ: قَدْ عَفَوْتُ عَنْكِ. فَقَالَتِ الجَارِيَةُ: (وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ). قَالَ مَيْمُونٌ: قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكِ، فَأَنْتِ حُرَّةٌ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى. (تفسير القرطبي ج٤ ص٢١٩).

(٤) سَبَّ رجلٌ الأحنفَ بنَ قيس وهو يسير معه في الطريق، فلما قرب الأحنف من منزله، وقف وقال للرجل: يا هذا: إن كان بقي معك شيء فهات وقُلْه ها هنا، فإني أخاف أن يسمعك فتيان الحي فيؤذونك، ونحن لا نحب الانتصار لأنفسنا. (المستطرف للأبشيهي ص٢٠٢).

ثمرات العفو عن الناس:

(١) العَفْوُ عَنِ النَّاسِ من مَظاهر حُسْن الأخلاق.

(٢) العَفْوُ عن الناس دليل كمال الإيمان وحُسْن الإسلام.

(٣) العَفْوُ عن الناس دليل على سعة الصدر وحُسْن الظَّن.

(٤) العَفْوُ عن الناس يثمر محبة الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ محبة النَّاس.

(٥) العَفْوُ عن الناس أمان من الفتن وعاصم من الزَّلل.

(٦) العَفْوُ عن الناس دليل على كمال النَّفس وشرفها.

(٧) العَفْوُ عن الناس ينشر المحبة بين أفراد المجتمع. (موسوعة نضرة النعيم ج٧ ص ٢٩١٠)

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

الإسلام والطفل

إعداد **الشيخ/عادل شوشة**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما بعد ، فقد جاءت الشريعة الإسلامية بمنهج شامل متكامل لجميع جوانب الحياة؛ يشمل جميع البيئات وجميع العناصر وجميع الفئات، ولقد كان الطفل من العناصر التي أولاها الإسلام عظيم اهتمامه وكبير رعايته مما لا تكاد تجد نظيره ولا مثله في غيره من الشرائع، ولم لا وهم شباب المستقبل وطموح الأمة وقادة الإنجازات وبريق الأمل وشعاع النور في ظلام الواقع وهم البشرى وقرة العين وزينة الحياة الدنيا.

قال تعالى مخبراً عن عباده أنهم يقولون: «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » (الفرقان: ٧٤)

وقال تعالى: «ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا » (الكهف: ٤٦)

ومن عظيم اهتمام الإسلام بالطفل أنه حث على طلب الولد ورغب فيه:

قَالَ اللَّهِ تَعَالَى:« فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّه لَكُمْ ».

عَن ابْن عَبَّاس قَالَ هُوَ الوَلَد، وَقَالَ ابْن زيد هُوَ الجمَاع، وَقَالَ قَتَادَة: ابْتَغُوا الرُّخْصَة الَّتِي كتب الله لكم. (انظر: تفسير الطبري ٣/ ٥٠٦).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وَالتَّحْقِيق أَن يُقَال: لما خفف الله عَن الْأمة بِإِبَاحَة الْجِمَاع لَيْلَة الصَّوْم إِلَى طُلُوع الْفجْر وَكَانَ الْمُجَامِع يغلب عَلَيْهِ حكم الشَّهْوَة وَقَضَاء الْوَطر حَتَّى لَا يكَاد يخْطر بِقَلْبِه غير ذَلِك أرشدهم سُبْحَانَهُ إِلَى أَن يطلبوا رِضَاهُ فِي مثل هَذِه اللَّذَّة وَلَا يباشروها بِحكم مُجَرّد الشَّهْوَة بل يَبْتَغُوا بهَا مَا كتب الله لَهُم من الْأجر وَالْولد الَّذِي يخرج من أصلابهم يعبد الله لَا يُشْرك بِهِ شَيْئا، ويبتغوا مَا أَبَاحَ الله لَهُم من الرُّخْصَة بِحكم محبته لقبُول رخصه، فَإِن الله يحب أَن يُؤْخَذ برخصه كَمَا يكره أَن تُؤْتى مَعْصِيَته، وَمِمَّا كتب لَهُم لَيْلَة الْقدر وَأمرُوا أَن يبتغوها، لَكِن يبْقى أَن يُقَال فَمَا تعلق ذَلِك بِإِبَاحَة مُبَاشرَة أزواجهم؟ فَيُقَال:

فيه إرشاد إلى أن لا يشغلهم ما أُبيح لهم من المباشرة عن طلب هذه الليلة التي هي خير من ألف شهر فكأنه سُبحانه يقول اقضوا وطركم من نسائكم ليلة الصيام ولا يشغلكم ذلك عن ابتغاء ما كتب الله لكم من هذه الليلة التي فضلكم الله بها والله أعلم". (انظر: تحفة المودود ص٩-١٠).

وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول: «تزوجوا الودود الولود فإني مُكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة». (صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد في مسنده (١٢٦١٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٤٩٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٠٢٨)، وغيرهم من طريق خلف بن خليفة، قال: نا حفص بن عمرو ابن أخي أنس، عن أنس. فيه خلف بن خليفة: صدوق. وللحديث طرق أخرى من حديث معقل بن يسار، وابن عمر يصحح بمجموع طرقها).

وعن معقل بن يسار قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني أصبت امرأة ذات حسن وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال تزوجوا الولود فإني مُكاثر بكم. (صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أبو داود في سننه (٢٠٥٠)، والنسائي في سننه (٣٢٢٧)، وأبو عوانة في مستخرجه (٤٠١٨)، وغيرهم من طريق يزيد بن هارون، أخبرنا مُستلم بن سعيد ابن أخت منصور بن زاذان، عن منصور يعني ابن زاذان، عن معاوية بن قرة، عن معقل بن يسار رضي الله عنه مرفوعا. فيه مُستلم بن سعيد: صدوق. وللحديث طرق أخرى من حديث أنس بن مالك، وابن عمر يصحح بمجموع طرقها).

ومما يرغب في الولد أنه إن عاش بعد أبويه نفعهما وإن مات قبلهما نفعهما:

عن أبي هُريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد لترفع له الدرجة فيقول أي رب أنى لي هذا فيقول باستغفار ولدك لك من بعدك. (أخرجه أحمد (١٠٦١٠)، وابن أبي شيبة (١٢٠٨١)، والطبراني في الدعاء (١٢٤٩)).

وعن أبي حسان قال توفي ابنان لي فقلت لأبي هُريرة سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا تحدثناه تطيب به أنفسنا عن موتانا؟

قال:نعم، صغارهم دعاميص الجنة(أي ملازمون لا يفارقون)، يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بناحية ثوبه أو يده كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى حتى يدخله الله وأباه الجنة. (أخرجه مسلم (٢٦٣٥)).

وعن مُعاوية بن قرة عن أبيه أن رجلا كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابن له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أتحبه ؟

فقال: يا رسول الله أحبك الله كما أحبه.

ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل ابن فلان؟

قالوا: يا رسول الله: مات

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه: أما تحب أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك عليه؟

فقال رجل: أله خاصة يا رسول الله أو لكلنا قال بل لكلكم. (صحيح: أخرجه النسائي (١٨٧٠)، وأحمد (١٥٥٩٥)).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من الناس مُسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم. (أخرجه البخاري (١٢٤٨)).

وجعل الإسلام الولد الصالح خير كنز يتركه المسلم من بعده، فهو خير زاد لأبويه في حياتهما وبعد موتهما.

عن أبي هُريرة، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له. (أخرجه مسلم: ١٦٣١).

بل إن الذرية الصالحة يُجمع شملها مع آبائها الصالحين في الجنة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾ (الطور: ٢١)

وإذا ما نظرنا إلى ما منحته الشريعة الإسلامية

للطفل من حقوق وما نجده في الشرائع والأمم الأخرى، يتبين لنا البون الشاسع بين حقوق الطفل في الإسلام والحقوق المدعاة في الشرائع والأمم الأخرى، لقد أشرقت الحضارة الإسلامية بأنوارها بعد ليل طويل حالك الظلمة كان الأطفال فيه سلعة رخيصة مهدورة الكرامة، مسلوبة الحقوق في ظل قيم وعادات وأعراف وتشريعات وقوانين ظالمة، منحت الأب أو الأخ الكبير حق التصرف بأطفال الأسرة في البيع أو الهبة لأحد المعابد، أو تقديمهم كرهائن للأعداء كما كان الحال عند الآشوريين والبابليين والرومان، أو دفنهم أحياء خوفا من العار أو الفقر كما كان الحال عند بعض القبائل العربية، أو تقديمهم قرابين للآلهة عند البعض الآخر. (محو الأمية التربوية للدكتور المقدم ١/١١).

لقد ضمن الإسلام للطفولة براءتها وحرص على سلامتها وتكفل برعايتها، في جميع مراحلها:

. مرحلة ما قبل الولادة:

تبدأ رعاية الإسلام للطفل قبل بروزه إلى الحياة، بل قبل اجتماع الأبوين في بيت المودة والسكن وذلك بالحث على:

حسن اختيار الزوجين:

قال تعالى: «وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم» (النور: ٣٢)

و قال تعالى: «ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم» (البقرة: ٢٢١)

ففي هاتين الآيتين مقارنة بين مبدأين أساسيين: بين الصلاح و الايمان و سلامة القلب وصحة الاتجاه، وبين الشرك و فساد العقيدة و ضلال المعتقد والمفروض أن مبنى الاختيار ينبغي أن يراعى فيه سلامة العقيدة والخلق.

والنصوص كثيرة في الباب منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «تُنكحُ المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها: فاظفرْ بذات الدين تربت يداك" أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله: " إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" أخرجه الترمذي في سننه (١٠٨٤)، وابن ماجه في سننه (١٩٦٧)، والطبراني في الأوسط (٤٤٦). حسنه الألباني رحمه الله في الارواء (١٨٦٨).

- ومن حرص الإسلام على الطفل أن سن تقديم تحصينات له قبل مجيئه وذلك باتباع المسنون عن رسول الله في ذلك.

ومن هذه التحصينات (فقه تربية الأبناء ص٣٤):

أ. الدعاء عند الدخول بالزوجة

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها ومن شر ما جبلتها عليه وإذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك». وفي رواية: «ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة». في المرأة والخادم. (حسن: أخرجه أبو داود في سننه (٢١٦٠)، وابن ماجه في سننه (١٩١٨)، والنسائي في الكبرى (٩٩٩٨).

ب. الدعاء عند الجماع

عن ابن عباس قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «أما لو أن أحدهم يقول حين يأتي أهله باسم الله، اللهم جنبني الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك، أو قضى ولد، لم يضره شيطان أبدا». (أخرجه البخاري (٥١٦٥)، ومسلم (١٤٣٤)).

مرحلة كونه جنينا:

إن الشريعة تعتبر الجنين كائنا مستقلا يتمتع بالحقوق الإنسانية التي يتمتع بها الآخرون دون أن يؤثر في ذلك أنه مستظل بحياة أمه داخل في كينونتها وغير منفصل عنها

و من كبير عناية الإسلام بالإنسان أن حفظ للأجنة منزلتها وحرمتها وحقوقها، وسن أحكاما دقيقة لرعايتها والحرص على سلامتها، فحرم الإسلام الإجهاض، ولم يبحه بتاتا إلا لضرورة الحفاظ على حياة الأم، ورخص الإسلام ترك بعض العبادات أو تأجيل أدائها حماية للأجنة، وصونا لحياتها.

كإباحة إفطار الحامل والمرضع في رمضان، بل إن الحق تبارك وتعالى عد الأجنة من الآيات الكبرى الدالة على عظمته وبديع صنعه، وجعلها برهانا على ألوهيته، وآية على البعث والنشور. يقول جل وعلا: «فَلْيَنظُرِ الإنسان مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ» (الطارق: ٥ - ١٠).

وضمن الإسلام للجنين حق النفقة والنسب وغيرها من الحقوق التي يضيق المقام بذكرها.

- مرحلة الولادة وما قبل التمييز:

أعطى الإسلام الطفل حقوقا كثيرة بعد الولادة وقبل التمييز منها:

الحث على حسن استقباله والتبشير بمجيئه وحسن اختيار اسمه والدعاء له بالبركة وتحنيكه والعقيقة عنه والرضاع والنفقة والختان والحضانة والحث على العطف والحنو عليه ورحمته في حقوق كثيرة تدل على مدى عناية الإسلام بالطفل.

- مرحلة التمييز وحتى البلوغ:

أمر الإسلام بمعاهدة الطفل في هذه المرحلة وأعطاها اهتماما خاصا بالحث على إظهار المودة والرحمة وتعليمه وتربيته وجعل رعاية الأبناء عبادة واجبة فهم أمانة عظيمة في عنق الوالدين وسيسألون عنها يوم القيامة. وإن للأبناء حقوقا على والديهم من أعظمها وأهمها تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، وليست الرعاية قاصرة على توفير السكن والطعام والشراب واللباس والعلاج ونحو ذلك فقط، فهذا يشترك فيه جميع الناس مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم بل حتى الحيوان يشارك الإنسان في ذلك، ألا ترى إلى الطائر كيف يصنع العش لصغاره وكيف يلتقط الحب ويصعد به إليهم، وكذا بقية الحيوانات، ولكن المسلم يختلف عنهم، فهو يعلم أنه مخلوق لعبادة الله وحده، وأنه مسؤول أمام ربه جل وعلا، وأن أمامه جنة ونارا. (انظر: إدراك معلمات المرحلة الابتدائية بمدينة مكة المكرمة، حقوق الطفل المسلم دراسة ميدانية، إعداد الطالبة صفية بنت عبد الله أحمد بخيت ص ٢٢، وانظر أيضا: تربية الأبناء مراحل عمرية وخطوات عملية ووسائل تربوية إعداد عبد الله بن سعد الفالح صـ١١).

ولذا فعليه مسؤولية أعظم وأمانة أضخم، ألا وهي رعاية فطرة هذا الطفل وتنشئته النشأة الصالحة: ليعبد الله وحده لا شريك له، وينقذ نفسه من نار تلظى ويفوز بجنة عرضها السماوات والأرض. ويعيش في هذه الحياة مؤمنا بربه متبعا لرسوله صلى الله عليه وسلم وسلفه الصالح، نافعا لأمته، قرة عين لوالديه في الدنيا وذخرا لهما في الآخرة

فما أعظم هذه الأمانة وأجلها وأوجبها. فهي واجب محتم على كل من استرعاه الله رعية.

قال الله سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» (التحريم: ٦)

وقال سبحانه: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ» (النساء: ١١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. أخرجه البخاري (٢٤٠٩)، ومسلم (١٨٢٩).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإنَّ لولدك عليك حقا). أخرجه مسلم (١١٥٩) من حديث ابن عمرو رضي الله عنه مرفوعا.

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: (" لَا يَسْتَرْعِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا رَعِيَّةً قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ، إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ أَمْ أَضَاعَهُ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً "). صحيح: أخرجه أحمد في مسنده (٤٦٣٧)، وابن أبي الدنيا في النفقة على العيال (٣٢٥)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٤٢٣/١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قصة مفتراة في استكمال الإيمان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد الشيخ علي حشيش

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة

١) وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية يجعل من لا دراية له بالصناعة الحديثية يتوهم أن هذه القصة صحيحة ولكن كما سنبين من التحقيق أنها قصة باطلة موضوعة.

٢) وإن هؤلاء الوضاعين من إفكهم ليقولون كما في المتن: «ليس بمؤمن مستكمل الإيمان من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة...».

٣) ولسائل أن يسأل هل إذا دعوت الله عز وجل لبلدنا بالرخاء في وسط هذا التضخم الذي عم كل شيء أكون دعوت الله لبلدنا بالمصائب بل وإن تعجب فعجب قولهم: من لم يعد الرخاء مصيبة فليس بمؤمن مستكمل الإيمان.

٤) إذا كان التضخم كما هو مقرر عند علماء الاقتصاد: «حركة صعودية مستمرة في الأسعار وهذا يؤدي إلى الغلاء والبلاء وانعدام الرخاء». فأين دعاة تجديد الخطاب الديني لمواجهة التضخم الذي يشعر به كل فرد؟ ألم يأن لدعاة تجديد الخطاب الديني أن يرجعوا إلى أهم محور من محاور تجديد الخطاب الديني بتخليص وتنقية الدين مما ليس منه، والتخلص من مثل هذه الأحاديث التي تجعل الغلاء والبلاء نعمة والرخاء مصيبة، ومثل هذه الأحاديث تعتبر من أكبر معوقات حل المشكلة الاقتصادية حيث تجعل هذا التضخم نعمة

والرخاء مصيبة، ومن لم يعد الرخاء مصيبة فليس بمؤمن مستكمل الإيمان، وكأن بهذا الحديث المفترى على النبي صلى الله عليه وسلم يجعل الاعتقاد بأن الغلاء والبلاء نعمة والرخاء مصيبة. شعبة من شعب الإيمان.

٥) وباستقراء كتاب الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ «الجامع لشعب الإيمان» وهو سبع وسبعون شعبة قال الإمام أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة (٦٩٩هـ) في كتابه «مختصر شعب الإيمان للبيهقي»: «الأول من شعب الإيمان: الإيمان بالله عز وجل».

ثم قال: «السابع والسبعون من شعب الإيمان: أن يحب الرجل لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه، ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق».

المشار إليه في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في «الصحيحين»: «الإيمان بضع وستون- أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». اهـ.

قلت: ولقد بوب الإمام البيهقي بابًا افتتح به كتابه «الشعب» قال: باب ذكر الحديث الذي ورد في «شعب الإيمان»، وأخرج أول حديث في الباب ثم عقب عليه فقال: رواه البخاري في «الصحيح» عن عبد الله بن محمد المسندي عن أبي عامر، وأخرج الحديث الثاني ثم عقب عليه فقال: رواه مسلم عن زهير بن حرب، عن جرير. اهـ.

قلت: وهذه طريقة أصحاب المستخرجات وذكرته ردًا على ما أجمله الإمام أبو المعالي القزويني في الحديث الذي أورده في «شعب الإيمان» فرواية البخاري: «بضع وستون شعبة»، ورواية مسلم: «بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة».

وبالبحث والاستقراء لم نجد في السبع والسبعين شعبة من شعب الإيمان شعبة تسمى «المؤمن مستكمل الإيمان هو الذي يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة». بل باستقراء الأحاديث والآثار بكتاب الإمام البيهقي «الجامع لشعب الإيمان» وعددها (١٠٧٥٦): لم يوجد هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة.

٦) هذا الحديث الباطل الذي جاءت به هذه القصة الواهية يذكر السبب في القول المنسوب كذبًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس بمؤمن مستكمل الإيمان من لم يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة». حيث يسأل النبي صلى الله عليه وسلم- كما سنبين من المتن- قالوا كيف يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لأن الرخاء لا تتبعه إلا المصيبة». وبين النفي بحرف (لا)، والاستثناء بحرف (إلا) يفيد الحصر والقصر بأن الرخاء يعد مصيبة لابد منها وينتهي إليها وأنه أمر كوني لا دخل للإنسان فيه ولابد من التغير إليه والرضا بالواقع.

هكذا تفعل الأحاديث المنكرة والتي تبين نكارتها الأصول الثابتة من الكتاب والسنة الصحيحة المطهرة، فالتغير من النعمة الرخاء إلى البلاء والغلاء بين الله عز وجل سببه فقال في الآية (٥٣) من سورة الأنفال: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».

وقال تعالى: «ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: ٤١).

كل هذه الأسباب توجب علينا تخريج وتحقيق هذه القصة الواهية.

ثانيًا: التخريج:

١) الحديث الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الإمام الحافظ الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ) في «المعجم الكبير» (٣٢/١١) ح (١٠٩٤٩) قال: حدثنا محمد بن علي الصائغ المكي، حدثنا عبد العزيز بن يحيى المديني، حدثنا عبد الله بن وهب، عن سليمان بن عيسى، عن سفيان الثوري، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس بمؤمن مستكمل الايمان من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة»، قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «لأن البلاء لا يتبعه إلا الرخاء، وكذلك الرخاء لا يتبعه إلا المصيبة، وليس بمؤمن مستكمل الايمان من لم يكن في غم ما لم يكن في صلاة»، قالوا: ولم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «لأن المصلي يناجي ربه، وإذا كان في غير صلاة إنما يناجي ابن آدم».

٢) وأخرجه الإمام الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني المتوفى (٥٣٥هـ) في «الترغيب والترهيب» (٣٤١/١) ح(٥٧٦) قال: «أخبرنا أحمد بن عبد الرحمن، أنبأنا أبو بكر بن مردويه، حدثنا دعلج بن أحمد، حدثنا محمد بن علي، حدثنا عبد العزيز بن يحيى المديني به».

ثالثًا: التحقيق

هذا الحديث الذي جاءت به القصة فيه علتان:

العلة الأولى: سليمان بن عيسى:

١) قال الإمام الحافظ السعدي الجوزجاني المتوفى سنة (٢٥٩هـ) في كتابه «أحوال الرجال» (٣٨٩): «سليمان بن عيسى السجزي الذي روى آداب سفيان الثوري كان كذابًا مصرحًا». اهـ.

٢) قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٨٩/٣) (٧٥٨/٢٦): «سليمان بن عيسى السجزي: يضع الحديث، سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: روى آداب سفيان الثوري كذاب مصرح». ثم ختم ترجمته فقال: «أحاديثه كلها أو عامتها موضوعة». اهـ.

٣) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٣٤/١/٢): «سألت أبي عن سليمان بن عيسى السجزي فقال: روى أحاديث موضوعة وكان كذابًا». اهـ.

٤) وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٣٤٩٦/٢١٨/٢): «سليمان بن عيسى السجزي هالك»، ثم نقل أقوال الأئمة الثلاثة والتي خرجتها من أصولها آنفًا ثم أقرها.

العلة الأخرى: عبد العزيز بن يحيى المدني:

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٥١٣٦/٦٣٦/٢): «كذبه إبراهيم بن المنذر الحزامي، وقال البخاري: يضع الحديث. وقال أبو زرعة: لا يصدق؛ ذكرته لإبراهيم بن المنذر فكذبه. وسألت أبا مصعب عنه وأنه يحدث عن سليمان بن بلال. فقال: كذب، أنا أكبر منه ما أدركت سليمان».

وقال العقيلي: يحدث عن الثقات بالبواطيل. اهـ.

فالقصة باطلة بالكذابين والوضاعين. اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ علي حشيش**

(٩٨١) «من قبل بين عيني أمه كان له سترا من النار».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٧٢) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: (هب عن ابن عباس).

قلت: «هب»: ترمز إلى البيهقي في «شعب الإيمان».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح وهو كما سنبين أنه حديث موضوع، كما سنبين حد هذا المصطلح، ثم نطبقه على هذا الحديث من التخريج والتحقيق حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي».

أولا: التخريج

الحديث أخرجه الإمام البيهقي في «الشعب» (٤٩٨/١١) ح(٧٤٧٧) الباب (٥٥) «بر الوالدين» قال: (أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عمرو سعيد بن عبد الله بن أبي عثمان الخيري، أخبرنا عبد الله بن محمد بن الشرقي، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا أبو صالح العبدي، حدثنا أبو مقاتل عن عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكره).

ثانيا: التحقيق

١) هذا الحديث أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٩٢/٣) (٥١٥/١٤٦) قال: حدثني مكي بن عبدان، حدثنا محمد بن عقيل بن خويلد، حدثنا أبو صالح خلف بن يحيى قاضي الري، حدثنا أبو مقاتل به، وقال: «هذا حديث منكر سندًا ومتنًا وعبد العزيز بن أبي رواد عن عبد الله بن طاوس ليس بمستقيم، وأبو مقاتل ليس هو ممن يعتمد على روايته». اهـ.

٢) قلت: وعلة أخرى: أبو صالح العبدي قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣٧٢/٢/١): «خلف بن يحيى الخراساني قاضي الري أبو صالح العبدي سألت أبي عنه فقال: متروك الحديث كان كذابًا لا يشتغل به ولا بحديثه». اهـ.

٣) وعلة ثالثة: الوقوف على درجة ضعف أبي مقاتل الذي قال فيه ابن عدي: «ليس هو ممن يعتمد على روايته». فقد قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢١٢٠/٥٥٧/١): «حفص بن سلم أبو مقاتل السمرقندي: وهاه قتيبة بن سعيد شديدًا، وكذبه عبد الرحمن بن مهدي، وقال السليماني: حفص بن سلم صاحب كتاب «العالم والمتعلم» في عداد من يضع الحديث».

وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٥٦/١): «أبو مقاتل السمرقندي كان عبد الرحمن بن مهدي يكذبه، قال نصر بن الحاجب: ذكرت أبا مقاتل لعبد الرحمن بن مهدي فقال: «والله لا يحل الرواية عنه» ثم ختم ترجمته فقال: و«كذلك وكيع بن الجراح كان يكذبه»». اهـ.

٤) الاستنتاج: نستنتج من هذا الحديث مردود بالطعن في رواته والطعن بالكذب في أكثر من راوٍ وهم في عداد الوضاعين ولا يحل الرواية عنهم.

قلت: وهذا ينطبق تمام الانطباق على الحديث الموضوع حيث قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص (٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع».

فالحديث موضوع، والموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه وتحرم روايته في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونا ببيان وضعه. كذا في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

«إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن مما شرعه الله للمسلمين في صلاتهم: أن يقولوا عقب تكبيرة الإحرام وقبل قراءة الفاتحة وفيما يُعرف بـ(دعاء الاستفتاح)، ما جاء في صحيح مسلم (٧٧١) من حديث عليٍّ وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام إلى الصلاة قال: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين.. اللهم! أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا إنَّه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيِّئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت.. لبيك! وسعديك! والخير كله في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك).

وإذا ركع قال: (اللهم! لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي).. وإذا رفع قال: (اللهم! ربنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد).. وإذا سجد قال: (اللهم! لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشقَّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين.. الحديث)".

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

١ - أثر دعاء الاستفتاح على النفس المؤمنة دون المشركة:

كلمات تعكس مدى حرص الإسلام؛ على: أن يكون المسلم صحيح المعتقد؛ وأنه المعوَّل عليه في صلاح كل شيء؛ وأن يكون على (المحاجة البيضاء) و(الحنيفية السمحاء) المائلة عن الشرك المستقيمة على التوحيد، إذ هما اللتان بُعث بهما أنبياء الله ورسله.. بحيث لا يتطرق إليه مثقال ذرة من شرك، وبحيث لا يتعلق العبد إلا بالله وحده أنشأ السماوات والأرض وخلقهما وأبدعهما على غير مثال سابق، وبحيث لا يصرف أيًا من صنوف العبادة إلا لله وحده.

فالسجود لا يكون إلا له وحده، والركوع والانحناء لا يكونان إلا له وحده، والذبح والقرابين والنذور لا تكون إلا له وحده، وإسلام الوجه لا يكون إلا له، والتوكل وهو في معنى تفويض الأمر؛ لا يكون إلا عليه، والنسك وهو كل ما يُتقرب به من ألوان العبادة؛ لا يكون إلا له وحده، والمحيا والممات لا يملكهما ولا يكونان إلا له، وخشوع القلب والجوارح لا يكونان إلا له، والاعتماد لا يكون إلا عليه، وطلب الاستعانة والمدد لا تكون إلا به ومنه وحده، وطلب المغفرة لا تكون إلا منه، وطلب الهداية لطريق الرشاد ولحسن الأخلاق لا يكونان إلا منه، والتقديم والتأخير والإعزاز والإذلال كل ذلك لا يملكه إلا الله وحده، وقضاء

الحاجات لا يقْدر على إنفاذها إلا الله وحده، وصرف السيئات والشرور وكل أنواع البلاءات والآفات والممرضات عن العباد وسائر الخلق لا يملكه إلا الله وحده، ولا أدل على ذلك من قوله بأسلوب الحصر والقصر: (لا يصرف عني سيئها إلا أنت) فهذا إقرارٌ بأنَّ الله هو وحْده القادرُ على ردِّ القضاء وصرْف السَّيِّئ منه عن عباده.

يقول الإمام النووي بشرح مسلم ٤٩/٦ مجلد٣: "قوله: (أنا بك وإليك) أي: (التجائي وانتمائي إليك وتوفيقي بك).. وقوله قبل: (إن صلاتي ونسكي) النسك: العبادة، والنسيكة كل ما يُتقرب به إلى الله من الذبح والحج وسائر العبادات، وقوله: (ومحياي ومماتي) أي: حياتي وموتي أو صحوتي ونومي؛ طاعة واستعانة على العبادة وتقويًا على القيام والذكر ونحو ذلك، قوله: (لله) قال العلماء: هذه لام الإضافة، ولها معنيان: (الملك) و(الاختصاص) وكلاهما مراد. وقوله: (رب العالمين) أي: المالك والسيد والمدبر والمربي، فإن وُصف الله بـ(ربّ) لأنَّه مالك أو سيّد؛ فهو من صفات الذات، وإنْ وُصف به لأنه (مُدبّرُ خلقه ومُربيهم)؛ فهو من صفات فعله.. و(العالمين) جمع عالم، واختلف العلماء في حقيقته، فقال جماعة من المفسرين وغيرهم: العالم: كل المخلوقات، وقال جماعة: هم الملائكة والإنس والجن، وقيل: هو مشتق من العلامة لأن كل مخلوق علامة على وجود صانعه" ا.هـ بتصرف

وهو في معنى قول أبي العتاهية:

ولله في كُلِّ تحريكة
وفي كُلِّ تسكينة شاهدُ
وفي كُلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ
تدلُّ على أنّهُ الواحدُ

ولك أن تتأمل فيم يكون الدعاء الذي أورده مسلم وقد سنه صلى الله عليه وسلم لعباد الله الموحدين؟!.. إنه شرع ليكون في الصلاة؛ أعظم مقام يكون فيه العبد بين يدي خالقه، وجميعه ينبض: بالتوحيد الخالص لله رب العالمين وبإخلاص جميع أعمال المرء لله الواحد الأحد الفرد الصمد، وبالبراءة من صرفها عن كل ما عداه.

لذا فقد نُقل عن جميع أهل العلم استحبابه في مفتتح كل صلاة، وقد ورد بعدة صيغ بعضها طويل وبعضها صغير وبعضها بين بين، وليس لقائل أن يزعم أن ذلك مختص بصلاة الليل، إذ ما ثبت في النفل ثبت في الفرض، ولا أدل على ذلك من حديث عليٍّ السالف الذكر وفيه: (كان النبي إذا قام للصلاة قال:.. الحديث) كذا دون ما تخصيص بصلاة النافلة، وهو عند الترمذي (٣٣٤٥) وقال الألباني: "حسنٌ صحيحٌ"، بلفظ: (كان إذا قام إلى الصَّلاة المكتوبة)، وعند ابن حبان بلفظ: (كان إذا ابتدأ الصَّلاة المكتوبة)، وعند ابن خزيمة والبيهقي بلفظ: (كان إذا قام إلى الصَّلاة المكتوبة).. فأين متصوفة الزمان من كل هذا؟!.

٢- وما يقال في الصلاة – لتعلقه بأعظم ألوان التوحيد – يقال في غيرها:

على أن ما يقال في الصلاة التي تستغرق كل أوقات المسلم في حال يقظته تقريبًا، يقال قُبيل نومه؛ الشطر الثاني من حياته، إذ مما شرع وكان لصيق الصلة بما تقدم، ما هدانا إليه صلى الله عليه وسلم مما يسن قوله قبل النوم، فقد أخرج البخاري في كتاب الدَّعوات، باب النوم على الشقِّ الأيمن (٥٨٤٠) عن البراء بن عازب قال: "كان رسولُ الله إذا أوى إلى فراشه نام على شقِّه الأيمن، ثم قال: (اللهم أسلمتُ نفسي إليك، ووجهتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك؛ رغبةَ ورهبةَ إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيِّك الذي أرسلتَ.. الحديث).

وفي رواية أخرى أوردها البخاري في باب فضل من بات على الوضوء (٢٣٩)، ومسلم في باب ما يقول عند النوم (٢٧١٠) أنه قال لرجل: (يا فلان، إذا أويتَ إلى فراشك فتوضَّأ وضوءك للصَّلاة، ثم اضطجع على شقِّك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمتُ نفسي إليك.. الحديث)، قال: (فإن متَّ من ليلتك متَّ على الفطرة، وإن أصبحتَ أصبتَ خيرًا).

وإنما عنى بقوله: (وجهت وجهي إليك):

قصدت بعبادتي الله، فالوجه يقصد به العمل، أو الجهة، أو القصد، كما أنشد سيبويه في الكتاب:

أستغفرُ الله ذنبًا لستُ محصيه
ربُّ العباد إليه الوجهُ والعمل

كما عنى بقوله: (وألجأت ظهري إليك): أسندتُه واعتمدتُ عليك فيما أخافه وأحاذره وفي كلِّ ما يخصَني مما يتعلق بمَعايشي، أو في مُزاولاتي وأحوالي كلها، فهو في معنى: يركن إليه ويتقوَّى ويستعين به، وانما خصَّ ذلك بـ(الظَّهر) باعتبار أنَّ العادة جرت: أنَّ الإنسان يَعتمد بظهره إلى ما يُستند إليه؛ ولهذا يقولون: (فلانٌ له ظَهْر) بمعنى: له سندٌ، وعليه قوله تعالى على لسان لوط عليه السلام لما قال للملائكة: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ» (هود: ٨٠)، وتعليق النَّبي عليه بقوله: (يرحم الله أخي لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد) ويعني به: رب العزة سبحانه، إذ هو خير معين وخير من يعتمد عليه، بينا الخلق «لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا» (الرعد: ١٦).

ومن فقه هذه الراويات: أنه عندما يقال: (كان رسولُ الله يفعل كذا)، يُعلم للتوِّ أنَّ مثل هذه الصِّيغة تدلُّ على المداومة والاستمرار، كما يُعلم أن من فعل ما جاء به فقد أطاعه وأوجب لنفسه موعود الله بالجنة، والا فقد أبى وعرَض نفسه لدخول النار مصداقًا لقوله بأبي هو وأمي: (كل الناس يدخلون الجنة إلا من أبى)، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: (من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)، ويُعلم كذلك أن لفظة: (اللهم) هي بمعنى: (يا الله)، فحُذف ياء النِّداء، وعُوِّض عنها بالميم.

ومن فقهها: التعبير بـ(إسلام الوجه لله) والبدء به أحيانًا، وهو في معنى: (الإخلاص)، يدل على ذلك قوله تعالى: «وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» (البقرة: ١١٢)، وبعضهم على أنه بمعنى: (الاستسلام)، يقال: (أسلمتُ نفسي إليك) يعني: استسلمتُ وجعلت نفسي منقادة لك طائعة لحكمك، وهذا هو الأصل في استعمال هذه اللَّفظة، إذ يَعني بها قائلها: أنَّه قد أسلم نفسه وقلبه وجوارحه لربِّه ومالكه ومعبوده، بحيث أضحت نفسه ماثلة أو موجهة ومعبدة ومذللة لله رب العالمين، فلا يقع منه خروجٌ عن طاعته، ولا انفلاتٌ عن إسلام وجهه لربِّه، ومن ثم فإنَّه لا يصحَ بحالٍ من الأحوال أن يقول هذا من يتزلف لقبرٍ أو لصاحبه أو يطوف حولهما، مع العلم أن الطواف عبادة ولا تكون إلا حول ما شرع الله، أو من ينشُد أو يناشد ميتًا ولو كان صالحًا مع ما هو معلومٌ بالضرورة من أنه إنما يُدعى لهؤلاء الموتى بقول: (يغفر الله لنا ولكم، يرحم الله المستقدمين منا المستأخرين) على ما ورد في السنة المطهرة، إذ كيف يقول: (أسلمتُ نفسي إليك) من كان على حالاته من الشرك والخروج عن طاعة الله ورسوله؟!.

٣- وما جاءت به السنة من تسليم العبد جميع أمره لله دون سواه: جاءت به أي التنزيل:

وهذا واضح من قوله تعالى: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)، يقول ابن كثير في تفسيرها: "يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغير اسمه، أنه مخالف لهم في ذلك، فإن صلاته لله ونسكه على اسمه وحده لا شريك له، وهذا كقوله: «فصل لربك وانحر» (الكوثر: ٢) أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها - أي: تماماً كما يفعله عبدة الأضرحة - فأمره الله بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله.. فعن جابر قال: (ضحى رسول الله في يوم عيد النحر بكبشين، وقال حين ذبحهما: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)".

ويقول السعدي في تفسيرها: "قوله: «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي» أي: ذبحي. وخصَّ هاتين العبادتين لشرفهما وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان والجوارح وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله، ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله، وقوله: «وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي» أي: ما آتيه في حياتي، وما يجريه الله عليَّ ويُقدّره في مماتي، الجميع «لله ربِّ العالمين»"ا.هـ.

وفي المختصر في التفسير ما نصه: "قل أيها الرسول: (إن صلاتي وذبْحي لله وعلى اسم الله لا على غيره، وحياتي وموتي، كل ذلك لله رب المخلوقات وحده وليس لغيره نصيب في ذلك".. وفي التفسير الميسر ما نصه: "قل أيها الرسول لهؤلاء المشركين: إن صلاتي، ونسكي أي: ذبحي لله وحده، لا للأصنام، ولا للأموات، ولا للجن، ولا لغير ذلك مما تذبحونه لغير الله، وعلى غير اسمه كما تفعلون".

ولصاحب التفسير الوسيط قوله: "قل لهم: إن صلاتي التي أتوجه بها إلى ربي، ونُسُكي أي: عبادتي وتقربي إليه وهو من عطف العام على الخاص، وقيل المراد به: ذبائح الحج والعمرة، «وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي» أي: ما أعمله في حياتي من أعمال وما أموتُ عليه من الإيمان والعمل الصالح؛ كل ذلك لله ربِّ العالمين، فأنا متجرد تجردًا كاملاً لخالقي ورازقي بكل خالجة في القلب، وبكل حكة في هذه الحياة"ا.هـ.

٤ - ما آل إليه حال المسلمين جراء تقاعسهم عن العمل بموجب ما أمر به الشارع في الصلاة وغيرها:

هذا، ولقد تواتر مؤخرًا على مواقع التواصل الاجتماعي حكاية أحد الزائرين لعدة مشاهد، رآها بعيني رأسه من عبدة القبور والأضرحة ومن فيهما، يشيب لهولها الولدان، وتُلهب مشاعر أهل الإيمان حتى إنها لتجعلهم يضربون كفًا على كف لما آل إليه سواد المسلمين الأعظم، ولو أن هذه المشاهد تمثل شيئًا يسيرًا من واقعنا الأليم لكانت منا محل شك.

يحكي هذا الزائر ما شاهده فيقول: "دخلت مسجد.. أكثر من تسع مرات، ووالله لقد رأيت الناس في دين غير الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، رأيت من يطلب من سيدنا.. أن يرزقه، ورأيت من تطلب منه الذرية، ورأيت من تخلع نقابها عند المقام، ورأيت اناسًا يظهر عليهم العقل والوقار يجمعون تراب أحذية زوار المسجد ويحتفظون به، ورأيت صرف الدعاء لـ.. مباشرة، ورأيت من يسجد للقبر عند الدخول وكأنها تحية منه لصاحب القبر"، ويحلف غير حانث قائلاً: "رأيت والله ما لو رآه الصحابة لظنوا أنهم عند مشاهد (اللات والعُزَّى وهبل ومناة)".

ويقول مستطردًا ومحملاً تبعة ذلك على الدعاة وعلى رأسهم دعاة الأزهر: "التوحيد في خطر والناس غارقون في الشرك والضلال، وبعض الدُّعاة يحذرون الناس من التشدد ويدعون الناس لمذهب الإنسانية".. ويختتم داعيًا الله "أن يردَنا إلى دينه مردًا جميلاً وأن يثبتنا عليه حتى نلقاه"ا.هـ.

ويحق لنا أن نساءل أنفسنا وجميع المسلمين: يا تُرى هل يحكي هذا الزائر غير الواقع الأليم لعوام المسلمين وسوادهم الأعظم إلا من رحم الله؟.. إنها الكارثة التي تحل على الأمة والتي ليس لها من دون الله كاشفة، فالشرك نذير الخراب، وما نهى بأبي هو وأمي عن شيء نهيه عن الشرك.. وماذا بعد قول نبي الهدى فيما أورده الألباني في (صحيح الأدب المفرد) للبخاري ١٨/١٤: (لا تشركْ بالله شيئًا وان قُطِّعت أو حُرِّقت)، كما أن جميع الذنوب داخلة في قوله تعالى: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا» ولم يستثن من ذلك إلا من وقع في مصيبة الشرك ومات عليه، وذلك قوله: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء».

نسأل الله العافية.. وللحديث صلة إن شاء الله.

شبهات وردود

«وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا»

(النساء:٨٢)

إعداد أ.د/ محمد حامد
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فقد أنزل الله تبارك اسمه القرآن الكريم مصحوبا بخصائص عظيمة، ومزايا جليلة تتجلى فيها دلائل كون هذا القرآن الكريم كلام الله وتنزيله الذي فاق طوق البشر، وأعجزهم عن مضاهاته، والإتيان بمثله، وأين كلام المخلوق من تراب من كلام رب الأرباب؟!

ومن بين هذه الخصائص العظيمة ما ذكره الله تعالى في قوله:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا "(النساء:٨٢) حيث نفى عنه سبحانه الاختلاف الواقع في كلام البشر، وعند التأمل في الآية الكريمة تستوقفنا مجموعة من الأسئلة تحاول هذه المقالة وما يتبعها بإذن الله تعالى أن تجيب عنها، وتكشف اللثام عن مخبوئها.

ما هذا الاختلاف الذي نفاه الله عن القرآن الكريم، وبيَّنَ أنه غير واقع فيه؟ وما دلائل سلامة القرآن منه؟ وما وجه التقييد بالكثرة في قوله تعالى:" اخْتلافًا كَثيرًا" ؟ وكيف نفهم ما نجده من اختلاف المفسرين في تفسير القرآن، وما نجده من اختلاف في القراءات القرآنية إلى غير ذلك مما أرجو أن أوفق لتوضيحه بإذن الله تعالى.

وأقول مستعينا بالله ولا حول ولا قوة إلا به:

أولا: تعددت أقوال المفسرين في تحديد هذا الاختلاف الذي نفاه الله تعالى عن القرآن الكريم ويمكن حصرها في ثلاثة أقوال على ما ذكره جماعة من المفسرين. ينظر: النكت والعيون للماوردي(١/ ٥١٠)، وزاد المسير لابن الجوزي(١/ ٤٣٨)، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(٢/ ٨٦).

أ- الاختلاف المنفي عن القرآن في الآية الكريمة هو التناقض والاضطراب

والتعارض الحقيقي بين آياته. ونسبه ابن الجوزي إلى الجمهور. (زاد المسير: ١/٤٣٨).

ب- الاختلاف المنفي عن القرآن في الآية الكريمة هو التفاوت في أسلوبه ونظمه بأن يكون بعضه فصيحا وبعضه ركيكا، وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ونحو ذلك مما هو منفي عن القرآن الكريم.

ج- الاختلاف المنفي عن القرآن في الآية الكريمة هو الكذب كأن يكون في بعض أخباره ما يُكذب الآخر. أو أن يكون في أخباره ما هو غير مطابق للواقع فيما أخبر به.

ومن ذلك ما أخبر به القرآن من الغيوب وما كانوا يبيتونه، ويسرون به فإنه مطابق لما صدر عنهم كما ذكره الله في الآية التي قبلها: " وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا"(سورة النساء:٨١).

قال الزجاج: " لو كان ما يُخبرونَ به مما بيتُوا، وما يُسرُون، ويُوحَى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -لولا أنه من عند الله لما كان الإخبار به غير مختلف؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله. وهذا من آيات النبي - صلى الله عليه وسلم – البينة". (معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٢/٨٢).

والحق أن هذه الأنواع الثلاثة منتفية عن القرآن الكريم ولله الحمد والمنة.

وهاك طرفا يسيرا من دلائل سلامة القرآن الكريم من هذه الاختلافات التي تقع في كلام البشر.

أما الأول وهو سلامة القرآن من التناقض والتعارض الحقيقي فإن الأمر يتجلى لديك حين تستحضر أن القرآن الكريم نزل في نحو ثلاث وعشرين سنة على القول المشهور. ومع طول هذه المدة وكثرة سور القرآن الكريم، وآياته، وتعدد موضوعاته، وغزارة فوائده، واتساع معلوماته لا تجد تعارضا حقيقيا أو اضطرابا أو تناقضا بين آياته وما فيها من معان ومعارف، وهدايات وغير ذلك مما تضمنه القرآن الكريم؛ فلا تجد – مثلا- في آية الدعوة إلى الحق وفي الأخرى الدعوة إلى الباطل، أو في آية تقرير أمر، وفي الأخرى نفي هذا الأمر، وإنكاره وهكذا في القرآن الكريم كله من فاتحته إلى خاتمته وهذا مؤذن بأنه كلام رب البشر الذي لا يتطرق إليه نسيان، ولا يعزب عن علمه شيء. وصدق الله إذ قال: " وما كان ربُك نسيًا" (مريم: ٦٤).

هذا. وهناك أصول مهمة ينبغي للمرء أن يراعيها في هذا الباب حتى يسلم من الخلل، والوقوع في الزلل.

ومن أهمها:

١- التسليم بأن القرآن لا اختلاف فيه ولا تناقض بوجه من الوجوه.

٢- إذا أشكل عليه أمر في فهم القرآن أو وجد ما يوهم التناقض فعليه أن يتهم نظره، ويرمي بالضعف بصره.

وكم من عائب قولا صحيحا
وآفته من الفهم السقيم

ويقول كما أرشدنا القرآن الكريم: " وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ " (سورة آل عمران:(٧)).

٣- أن يسأل من هو أعلم منه فإنما شفاء العيِّ(الجاهل) السؤال، أو أن يبحث في الكتب النافعة في هذا الباب فيزول عنه الإشكال بفضل الله تعالى.

قال ابن عطية الأندلسي: " فإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا في شيء من كتاب الله، فالواجب أن يتهم نظره ويسأل من هو أعلم منه". (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ٢/٨٣).

وقال ابن جزي الكلبي: " وإن عرضت لأحد شبهة وظن اختلافا في شيء من القرآن. فالواجب أن يتهم نظره ويسأل أهل العلم ويطالع تآليفهم. حتى يعلم أن ذلك ليس باختلاف". (التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١/٢٠١).

٤- أن يعلم أن كل ما ورد في هذا الباب من إشكالات في الفهم فهو موهم للتناقض، وليس بتناقض في الحقيقة لفقده شروط التناقض وذلك " أن الخبرين اللذين أحدهما نفي والآخر إثبات إنما يتناقضان إذا استويا في الخبر والمخبر عنه، وفي المتعلق بهما، وفي الزمان والمكان، وفي الحقيقة والمجاز؛ فأما إذا اختلفا في واحد من ذلك فليسا بمتناقضين". (تفسير الراغب الأصفهاني: ١/٢٤).

وحاصل الأمر أن التناقض لا يتحقق إلا عندما يكون الاختلاف من كل جهة، وأما مع انفكاك الجهة- ولو في وجه من الوجوه- فليس بتناقض في الحقيقة.

قال أبو بكر الصيرفي: " جماع الاختلاف والتناقض أن كل كلام صح أن يضاف بعض ما وقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وانما التناقض في اللفظ ما ضاده من كل جهة على حسب ما تقتضيه الأسماء ولن يوجد في الكتاب ولا في السنة شيء من ذلك أبدا....." (نسبه الزركشي في البرهان في علوم القرآن(٢/٥٣)، والسيوطي في الإتقان في علوم القرآن (٣/١٠٠)).

ولما كان القرآن سالما من هذا التناقض حقيقة عبر العلماء عما يقع لبعض الناس من إشكال في هذا الباب بـ" بموهم الاختلاف والتناقض"؛ لأن كلام الله تعالى منزه عنهما حقيقة وانما يكون ذلك بالنسبة إلى الأوهام القاصرة. (ينظر: أبجد العلوم لمحمد صديق خان ص٥١٩).

ودونك أمثلة يسيرة لبيان أن ما ورد مما ظاهره التعارض ليس بتناقض في الحقيقة.

أ- جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم هاد يهدي الناس إلى صراط الله المستقيم قال تعالى: " وَإنَّكَ لَتَهْدي إلى صِرَاطٍ مُسْتَقيم" (الشورى:٥٢). وجاء في القرآن ما ينفي ذلك عنه قال تعالى: " إنَّكَ لا تَهْدي مَنْ أحْبَبْتَ وَلكنَّ الله يَهْدي مَنْ يَشاءُ وَهُوَ أعْلَمُ بالمُهْتَدين"(القصص:٥٦). وحين تمعن النظر تعلم أن الهداية المثبتة له صلى الله عليه وسلم تختلف عن الهداية المنفية عنه فالأولى وهي المثبتة: هداية البيان والدلالة، والأخرى- وهي المنفية- هداية التوفيق فإنها بيد الله وحده عز وجل، وبهذا يرتفع الإشكال، ولا تناقض ولله الحمد

ب- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ "(الأعلى:١٤)، وقوله تعالى: " قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا "(الشمس:٩) فإن الآيتين تبينان أهمية تزكية النفس، وفلاح صاحبها، وفي آية أخرى قال تعالى: " فلا تزكوا أنفسكم"(النجم:٣٢) وهذا فيه نهي عن تزكية النفس.

والإشكال يزول إذا علمنا أن المراد بالتزكية المرغب فيها تطهير النفس، وتزكيتها بالطاعة وترك المعصية.

وأن المراد بالتزكية المنهي عنها مدح النفس، والثناء عليها وحينئذ فلا إشكال في فهم هذه الآيات ولله الحمد.

ت- ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى:" قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ "(الزمر:٥٣) مع قوله تعالى:" إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(النساء: ٤٩و١١٦) ففي آية سورة الزمر إثبات مغفرة جميع الذنوب، وفي سورة النساء تقسيم الذنوب إلى ذنوب يغفرها الله، وذنوب لا يغفرها، ولا إشكال في لك فالآية الأولى:" إن الله يغفر الذنوب جميعا" في حق التائبين فمن تاب تاب الله عليه ولو كان الذنب شركا، ويدل عليه الدعوة إلى الإنابة والاستسلام لله بعدها وذلك في قوله تعالى: " وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ "(الزمر: ٥٤).

وأما قوله تعالى:" إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" ففي حق غير التائبين فمن مات منهم على الشرك لم يغفر له، ومن مات غير مشرك فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة حيث يقررون أن مرتكبي الكبائر دون الشرك أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عفا عنهم وإن شاء عاقبهم لكنهم لا يخلدون في النار خلافا للخوارج والمعتزلة.

وعلى ذلك فالآيتان لا تعارض بينهما، وانما ذكرت كل آية حالا من أحوال الناس والله أعلم.

هذا غيض من فيض يتضح لك به أن كل ما توهمه الإنسان من وجود تناقض بين آيات القرآن فليس بحقيقي، وانما هو في ذهن الإنسان لا في كلام الرحمن الذي لا تناقض فيه ولا اختلاف والحمد لله رب العالمين.

من بلاغة القرآن الكريم

اختلاف القراءات وتنوعها

إعداد **د. عبد الرحمن فودة**
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلقد بينا في المقال السابق الفروق بين روايتي عاصم برواية حفص عنه وقراءة نافع برواية ورش عنه من حيث العدد (الافراد والجمع). ونبين في هذا المقال بحول الله وتوفيقه الفروق بين الروايتين من حيث الصيغ:

- قال تعالى: «وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ» (البقرة: ١٢٥).

في قوله تعالى: «وَاتَّخِذُوا» قراءتان، الأولى على الأمر «وَاتَّخِذُوا» أي الأمر بالصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام، وبهذه القراءة قرأ العشرة إلا نافعًا والشامي ابن عامر اللذين قرآها بفتح الخاء «وَاتَّخَذُوا» على الإخبار بالماضي.

توجيه الروايتين:

قراءة: (واتَّخِذوا) بكسر الخاء على أنها فعل أمر، وهو مقول قول محذوف معطوف على قوله: «وإذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً للنَّاس وَأَمْنًا». والتقدير: وقلنا لهم: اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

وقد احتيج إلى التقدير لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر، ونظير ذلك قول الله تعالى: «وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ» (البقرة: ٦٣).

واذا اعتبرنا فعلي (اذكر) مقدرًا في (واذ) يكون التقدير (واذكر إذ جعلنا... واتخذوا....).

إذًا رواية حفص عن عاصم على أن (اتخذوا) فعل أمر أي إنشاء، وفيه توجيه للمسلمين أن يتَّجهوا إلى الكعبة من وراء مقام إبراهيم عليه السلام. قال القاسمي: "بكسر الخاء أمرًا معترضًا بين الجملتين الخبريتين، أو بتقدير: وقلنا اتخذوا، وبالفتح ماضيًا معطوفًا على جعلنا، أي: واتخذوا مصلى.

أما قراءة: (واتخَذوا) بفتح الخاء، فبناء على أنها معطوفة على (جعلنا) تقديرًا بإضافة (إذ) إليها، والتقدير: واذكر وقت جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا واتخاذ الناس مقام إبراهيم مصلى كأنها حكاية أو إخبار. أو تكون (اتخذوا) معطوفة على مجموع (واذ جعلنا) فنقدر (إذ) فيصير المعنى: واذكر إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا، واذكر إذ اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

قال ابن عاشور: (واتخَذوا) قرأ نافع وابن عامر بصيغة الماضي عطفًا على (جعلنا) فيكون هذا الاتخاذ من آثار ذلك الجعل، فالمعنى: ألهمنا الناس أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، أو أمرناهم بذلك على لسان إبراهيم فامتثلوه واتخذوه، فهو للدلالة على

حصول الجعل بطريق دلالة الاقتضاء. فكأنه قيل جعلنا ذلك فاتخذوا.

وقرأ باقي العشرة بكسر الخاء بصيغة الأمر على تقدير القول، أي قلنا اتخذوا بقرينة الخطاب فيكون العامل المعطوف محذوفًا بالقرينة. وبقي معموله كقول لبيد:

فلا فروع الأيهقان وأطفلت
بالجلهتين ظباؤها ونعامها

أراد: وباضت نعامها، فإنه لا يقال لأفراخ الطير أطفال، فمآل القراءتين إلى مفاد واحد.

والحاصل «صيغة الماضي لا تحتمل غير حكاية ما كان في زمن إبراهيم عليه السلام، وصيغة الأمر تحتمل ذلك وزيادة هي أن يُراد بها معنى التشريع للمسلمين إعمالاً للقرآن الكريم بكل ما تحتمله ألفاظه».

وقد أفاد اختلاف القراءتين الأمر والإخبار، وترتب على هذا حكم شرعي عند الفقهاء في رأيين: الأول هو أن صلاة ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام واجب لا يجوز تركه -بناء على قراءة الأمر-؛ لأن الأمر يفيد الوجوب، وإلى هذا ذهب أبو حنيفة والشافعي.

والثاني: إن صلاة ركعتين خلف المقام سُنَة بناء على قراءة الإخبار (واتخذوا) بفتح الخاء، وإلى هذا ذهب مالك وأحمد، والشافعي في قوله الثاني.

قال تعالى: «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ» (النحل: ٦٢).

فيها قراءتان: الأولى رواية حفص وهي اسم مفعول (مُفْرَطون)، والثانية لنافع وهي اسم فاعل (مُفرطون) بالراء الخفيفة، وهناك قراءة ثالثة (مُفرِّطون) على اسم الفاعل، وبتشديد الراء المكسورة.

وتوجيه هذه القراءات على النحو الآتي:

قراءة (مُفرَطون) معناها: مُقدَّمون إلى النار معجَّلون إليها، يعني يسبقون من يلحق بهم في دخولها. وقيل: متروكون في النار منسيون؛ ليذوقوا العذاب، وليس بمعنى النسيان (المستحيل على الله عز وجل).

أي مجعولون فرطا وهو المقدم إلى الماء ليستقي. فهم مقدمون إلى النار.

أما قراءة (مُفرِطون) فهي من الإفراط أي الإسراف وتجاوز الحد، اسم فاعل من أفرط إذا بلغ غاية شيء ما؛ أي مفرطون في الأخذ من عذاب النار. أو (فهم مفرطون على أنفسهم: حيث افتروا على الله عز وجل، وادعوا أن له -سبحانه- بنات، على الرغم من كراهيتهم للبنات، فكيف يجعلون لله تعالى ما يكرهون؟!).

وأما قراءة (مُفرِّطون) فهي من التفريط أي التقصير في أداء الواجب، والمعنى أنهم مقصرون في الطاعات، مضيعون لأوامر رب الأرض والسماوات، ومنه قوله تعالى: «أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ» (الزمر: ٥٦).

إذًا المعنى على قراءة (مُفرَطون) أنهم سابقون إلى النار مُعجَّلون إليها؛ لأنهم أشد أهل النار استحقاقًا لها. وعلى هذا الوجه يكون إطلاق الإفراط على هذا المعنى استعارة تهكمية كقول عمرو بن كلثوم:

فعجلنا القرى أن تشتمونا- أراد فبادرنا بقتالكم حين نزلتم بنا مغيرين علينا.

وقراءة نافع تحتمل هذا التفسير أيضًا؛ لجواز أن يقال: أفرط إلى الماء إذا تقدم له.

قال تعالى: «فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ» (المدثر: ٤٩-٥١).

فيها قراءتان: الأول (مُستنفِرة) على اسم الفاعل، وهي لحفص عن عاصم وهي المشهورة، والثانية لنافع المدني وهي (مُستنفَرة) على اسم المفعول.

والتوجيه على اسم الفاعل (مستنفرة) بمعنى: نافرة، والمعنى أن هؤلاء الكفار في فرارهم مما يدعوهم إليه النبي صلى الله

عليه وسلم كأنهم حمر شديدة النفار، فزعت من قسورة (أي: أسد)، فهي تجري دون وعي، وكأن التذكرة والعظة تكاد تقضي عليهم؛ فهم منها في فرار شديد.

وأما (مستنفرة) أي: استنفرها مُنفر؛ سواء كان راميًا أو أسدًا.

ونلاحظ أن الآية تُصوِّر هؤلاء المعاندين في إعراضهم ونفرتهم عن استماع الذكر بالحمر النافرة أو المنفَرة، وفي هذا التصوير مذمَّة ظاهرة لهم.

فهم إما حُمر تجري في كل اتجاه من شدة الخوف، من القسوة التي استنفرتها هي التي حملتهم على هذه الصورة، وساقهم كما يسوق الراعي ماشيته بعيدًا عن سماع التذكرة حتى لا يطيعوا أمر الداعي.

(ولعل القسورة هاهنا هم السادة الكبراء الذين يتنصلون منهم يوم القيامة حين يقولون: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (الأحزاب: ٦٧).

ولكن أنَّى لهم ذلك!

كأنهم في الإعراض عن الذكرى وبلادة قلوبهم حمر شديدة النفار فرت من قسورة (يعني أسد) أو عصبة قنص من الرماة.

فهي على الوجهين ذات دلالة واضحة تدل على انصرافهم بشدة عن الداعي إلى الهدى، وكأنهم نافرون بطبيعتهم، أو أنهم صرفوا بصارف أو نفروا بمنفر هو ذلك القسورة حقيقيًا كان أم مجازيًا، فعلى اسم الفاعل أو اسم المفعول يقبل هذا الكلام وهو متوجه قوي. والله أعلم.

فيها تصوير للداعي بالأسد المخيف على سبيل الاستعارة.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الأنعام: ٣٣).

(كَذَب- كذَّب) (فعل- فعَّل) تخفيف عين الفعل وتشديدها.

(يكذِّبون- يكذبون) رواية حفص بالتشديد (يكذِّبونك) ورواية ورش (يكذبونك) هل هما بمعنى واحد كما ذهب إلى ذلك الفارسي أبو علي (يجوز أن يكون معنى القراءتين واحدًا؛ لأن معنى التفعيل النسبة إلى الكذب بأن يقول له كذبت، كما تقول: ذنَّبته وفسَّقته وخطَّأته؛ أي قلت له هذه الأشياء، وسقيته ورعيته؛ أي قلت له: سقاك الله ورعاك.

وقد جاء في هذا المعنى (أفعلته) قالوا أسقيته؛ أي قلت له سقاك الله. فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحدًا، وإن اختلف اللفظان؛ إلا أن (فعلت) إذا أراد أن ينسبه إلى أمر أكثر من (أفعلت). لكن ذهب أكثر العلماء إلى أن بين القراءتين فرقًا؛ فمعنى (لا يكذبونك) أي أنهم لا يقدرون أن ينسبوك إلى الكذب فيما جئت به.

قال ابن عباس: لا يسمونك كذابًا، ولكنهم ينكرون آيات الله بألسنتهم وقلوبهم موقنة بأنها من عند الله.

قراءة التشديد تفيد خبرًا محضًا عن عدم تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم. وإن قيل: قد وُجد منهم التكذيب؟ فالجواب: من بعضهم. وكذلك نفي التكذيب لانتفاء ما يترتب عليه من المضار. فكأنه قيل: فإنهم لا يكذبونك تكذيبًا تبالي به ويضرك؛ لأنك لست بكاذب، فتكذيبهم كلا تكذيب، فهو من نفي السبب لانتفاء السببية. وكأنهم إذا كذَّبوا الرسول صلى الله عليه وسلم فكأنهم يكذِّبون مرسله سبحانه وتعالى.

أما قراءة التخفيف (لا يكذبونك) فمعناها لا يجدونك كاذبًا، لأنهم يعرفون صدقك ولا ينسبونك إلى الكذب.

والمعنى على القراءتين أنه صلى الله عليه وسلم ليس كاذبًا بشهادة الكفار أنفسهم؛ لأنهم لم يعهدوا عليه كذبًا قط، وأنهم لو اجتهدوا في تلمُّس تكذيبه صلى الله عليه وسلم في شيء فلن يستطيعوا.

وللحديث بقية؛ إن شاء الله تعالى.

النبي صلى الله عليه وسلم مُعلِّمًا

إعداد: الشيخ صلاح عبد الخالق

فرع بيشة قايد - شرقية

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، خير مُعلم للبشرية لم تعرف البشرية معلمًا قبله ولا بعده خيرا منه، وبعد:

أولاً: النبي صلى الله عليه وسلم مُعلمًا بنص القرآن والسنة:

(١) أثبت الله تعالى ﴿ القرآن الكريم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعلمًا بنصوص كثيرة منها مثلاً: قال تعالى: «لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ» (آل عمران: ١٦٤).

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى وأنعم «عَلَى المُؤْمنينَ»، وأحسن إليهم، وتفضَّل عليهم نعمة عظيمة التي هي بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، «إذْ بعثَ فيهمْ» وأرسل إليهم «رَسُولاً منْ أنفُسهمْ» ولد ببلدهم، ونشأ بينهم يفهمون كلامه بسهولة، ويعرفون حاله بالصدق، والأمانة من أول العمر إلى آخره. «يُعلِّمُهُمُ الكتابَ»: أي: يعلمهم معاني القرآن وتفسيره «و» يعلمهم «الحكْمَة»: أي: السنة؛ فتعليم الكتاب اضطرَّهم إلى تعلم الكتابة، وأخرجهم من الأمية إلى نور العلم والعرفان. (تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: ٥/٢٣٩).

(٢) أثبتت السُّنة النبوية الشريفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعلمًا بنصوص كثيرة منها مثلاً: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا». (صحيح مسلم: ١٤٧٨).

ثانيا: من أساليب النبي المعلم صلى الله عليه وسلم في التعليم

(١) التعليم بالقدوة العملية الحسنة:

قال تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا» (الأحزاب: ٢١)، وقال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لأَصْحَابه (في صُلح الحديبية): «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا. (صحيح البخاري: ٢٧٣١).

(٢) التعليم بالسؤال والحوار:

فأسلوب الحوار والمساءلة يُثير انتباه السامعين ويشوق النفوس للحصول على

الجواب، ويحفز عقولهم على إعمال الفكر للوصول إلى الجواب، فإن لم يجيبوا، وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك أدعى لحفظ المعلومة ورسوخها في نفوسهم.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ». (صحيح مسلم: ٢٥٨٩).

وقوله: (أَتَدْرُونَ) ذكره تنبيها لهم على تفريغ أذهانهم لضبط ما يلقى إليهم فيكون أوقع في نفوسهم (قالوا: الله ورسوله أعلم) تأدبا وطلبا للسماع منه صلى الله عليه وسلم. (مرقاة المفاتيح: ١/ ٨٩).

(٣) التعليم بضرب المثال:

ضرب الأمثلة لتقريب المعنى وتسريع الفهم، الله تعالى علمنا ضرب الأمثلة في القرآن: قال تعالى: «إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا» (البقرة: ٢٦)، وعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً". (صحيح مسلم- كتاب البر والصلة والآداب، ح٢٦٢٨). والكير: جهاز من جلد أو نحوه، يستخدمه الحداد وغيره للنفخ في الجمر أو النار لإشعالها. (معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ١٩٧٧).

(٤) التعليم بتشويق الأذهان:

منها مثلا ما ثبت عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ، فَقُلْتَ: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ». (صحيح مسلم: ٩٤٩).

(٥) التشجيع والثناء الحسن على المتميزين:

لما كانت النفس البشرية تميل إلى حب سماع الكلام الطيب والثناء الحسن خاصة مع الجد والاجتهاد، لذلك كان نبينا الكريم المعلم الأول صلى الله عليه وسلم يحرص على استخدام عبارات التشجيع والثناء الحسن لمن كان أهلا لذلك.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». (صحيح البخاري: ٩٩).

(٦) إيجاد الدافعية للتعلم من خلال إشعار المتعلم بحاجته إلى العلم. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» فَرَجَعَ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ، أَوْ فِي الَّتِي بَعْدَهَا: عَلِّمْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا». (صحيح البخاري: ٦٢٥١، صحيح مسلم: ٣٩٧).

(٧) العناية بالمتعلم والاهتمام به:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ صلى

الله عليه وسلم يُحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «أين-أراه- السائل عن الساعة» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «فإذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». (صحيح البخاري: ٥٩).

فهو صلى الله عليه وسلم، رغم أنه كان مشغولاً بحديثه لم ينس هذا السائل ولم يهمله، إنما كان مهتمًا به فأجابه على سؤاله لما فرغ من كلامه.

ثالثا: من أساليب النبي المعلم في معالجة الأخطاء:

(١) الرحمة واللين:

قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» (آل عمران: ١٥٩)؛ وعن مُعاوية بن الحكم السُلمي، قال: بَيْنا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه، ما شأنكم؟ تنظرون إلي، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يُصمتونني لكني سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيت مُعلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله، ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن». (صحيح مسلم: ٥٣٧).

في الحديث بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم وفيه التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه. (شرح النووي: ٥/ ٢٠).

(٢) الحرص على المتعلمين:

قال تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (التوبة: ١٢٨). وعن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه دعوه» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه. (صحيح مسلم: ٢٨٥).

(٣) الجدال بالتي هي أحسن:

قال تعالى: «ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» (النحل: ١٢٥). ومن صور استخدام أسلوب المحاورة بالتي هي أحسن والاقناع العقلي ما صح عن أبي أمامة قال: إن فتى شابًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: "ادنه، فدنا منه قريبا "قال: فجلس قال: " أتحبه لأمك؟ "قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم "قال: "أفتحبه لابنتك؟" قال: لا. والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم "قال: "أفتحبه لأختك؟ " قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم "قال: "أفتحبه لعمتك؟" قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم قال: "أفتحبه لخالتك؟ "قال: لا. والله جعلني الله فداءك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. (مسند الإمام أحمد: ٢٢٢١١، والسلسلة الصحيحة: ٣٧٠).

والحمد لله رب العالمين.

وسائل التواصل الاجتماعي
أحكام وضوابط

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أولا: طلب الصداقة بين الرجال والنساء عبّر مواقع التواصل الاجتماعي:

الصداقة اصطلاحًا:

الصداقة: «عاطفة سامية القَدْر، غزيرة الفائدة". تلك هي الصداقة، والشرع رغَّب في أنْ تكون المعاملة بين المسلمين معاملة الصَّديق للصَّديق، ألا ترونه كيف أَمَر المسلم بأنْ يُحب لأخيه ما يُحبه لنفسه؟ بل استحب للمسلم أنْ يُؤْثر أخاه المسلم، وإنْ كان به حاجة، وذلك أقصى ما يفعله الصديق مع صديقه. والصداقة إنْ قامت على أساس الفضيلة، ولم يكن للمنفعة أثر في تكوين رابطتها، تستدعي بطبيعتها جَلْب المنفعة، أو دَفْع الضرر، فإنها تبعث الصَّديق على أنْ يدفع عن صديقه الذى بما عنده من قوة، وتهزه لأنْ يُسعده في الشدائد بما أُوتي من جاه أو سطوة. (موسوعة الأعمال الكاملة لشيخ الأزهر الأسبق: محمد الخضر حسين ١١٩/٤ وما بعدها).

إعداد **الدكتور عبد القادر فاروق**
موجه بمجمع البحوث وعضو
لجنة الفتوي بالمعادي سابقا

طلب الصداقة بين الرجال والنساء عبّر مواقع التواصل الاجتماعي

لا يجوز تكوين صداقات بين الرجال والنساء عَبْر هذه الوسائل للأسباب التالية:

أ- لأنَّ هذا من اتخاذ الأخدان الذي نهى الله عَزَّ وجَلَّ عنه في كتابه الكريم، فقال: فيما يخص الرجال: «وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ » (المائدة: ٥)، وقال فيما يخص النساء: «وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ » (النساء: ٢٥).

أَخْدانِ جمع خدْن- بكسر الخاء وسكون الدال- بمعنى الصَّديق. ويُطلق على الذكر والأنثى.. (التفسير الوسيط ٥٣/٤)

ب- ولأنه ذريعة إلى الوقوع في المحظورات بداية مَن اللغو في الكلام، ومرورًا بالكلام في الأمور الجنسية وما شابهها، وختامًا بتخريب البيوت، وانتهاك الأعراض، والواقع يشهد بذلك.

ولا فرق في الحُكم بين الصداقة الواقعية

والصداقة عبر الإنترنت حتى وإنْ كانت لغرض ديني؛ لما يترتب على ذلك من المفاسد والمحاذير الشرعية، ولعدم الحاجة والضرورة لذلك، ومن الممكن أنْ يقوم الرجال بدعوة الرجال وأنْ تقوم النساء بدعوة النساء، وفي هذا سد للذرائع وبُعد عن الريبة.. ويُراعى شرْط التقوى، والصلاح عند طلب الصَداقة بين النساء والنساء، وكذلك عند طلب الصَداقة بين الرَجال والرَجال. والأصل في الصَداقة أنْ تكون عونًا على طاعة اللّه تعالى، فإن لم تكن بضوابط شرعية تنقلب إلى عداوة يوم القيامة.قال اللّه تعالى: « ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ » (الزخرف: ٦٧).

وجه الدلالة من الآية:

«كل صداقة وصحبة لغير اللّه فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان للّه- عز وجل- فإنه دائم بدوامه». (تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٣٧)

ثانيا:تبادل الرسائل بين الرجال والنساء عبر مواقع التواصل الاجتماعي:

من القواعد الشرعية:سد الذرائع إلى الحرام، ومن المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية: حفظ النسل والأعراض؛ من أجل ذلك حرَم اللّه الزنا، وحرَم وسائله التي قد تُفضي إليه، من خلوة رجل بامرأة أجنبية منه، ونظرة آثمة، وسفر بلا محْرم، وخروج المرأة من بيتها مُعطرة مُتبرجة كاسية عارية. والرسائل عبْر مواقع التواصل تدْخل فيما يُسمَى بالمخادنة، فالإسلام لا يعترف بالعلاقات بين الرَجال والنساء خارج حدود الزواج، وقد حذَر كلاً من الجنسين من اتخاذ الأخدان. قال اللّه تعالى في شأن الرجال:« وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ » (المائدة: ٥)، وقال تعالى: في شأن النساء: « وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ » (النساء: ٢٥)، وفتنة النساء من أخطر الفتن وأضرها علي المسلم، والمراسلات بين الرجل والمرأة، هي باب من أبواب الفتنة والشر.ولقد حذَرنا النبي صلى اللّه عليه وسلم من الافتتان بالنساء، ففي الصحيحين عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي اللّه عنهما، عَنِ النَّبيِّ صلى اللّه عليه وسلم قال: «ما تركْتُ بعْدي فتْنَةً أضَرَّ على الرجال من النساء». (أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)). وفي صحيح مسلم، عَنْ أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه، عن النبيّ صلى اللّه عليه وسلم، قال: «إنَ الدُنيا حُلوةٌ خضرةٌ، وإنَ اللّه مُستخلفكم فيها، فينظرُ كيْف تعْملون، فاتَقوا الدُنيا واتَقوا النساء، فإنَ أوَل فتنة بني إسرائيل كانتْ في النساء». (أخرجه مسلم (٢٧٤٢)).

وجه الدلالة:

فينظر كيف تعملون، أي:بطاعته، أم معصيته وشهواتكم، فاتقوا الدنيا أي: اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء. (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للحافظ السيوطي، ٦/ ٨٤).

ثالثا: المحادثة بين الرجال والنساء عبْر مواقع التواصل الاجتماعي:

لا يخفى أنَ الإنسان اجتماعي بطبعه، وعليه فقد يحصل تواصل بين الرجال والنساء، سواءً بالطرُق التقليدية، أو بالوسائل الحديثة العصرية، ولا بد أنْ يكتنف هذا التواصل ضوابط شرعية.

ومن هذه الضوابط:

١- أنْ يكون الكلام لحاجة.

فلا يصح مخاطبة رجل امرأة، ولا امرأة رجلاً إلا لحاجة (كحاجة السؤال عن الأحكام الشرعية، وتعلم العلم، أو البيع والشراء، ونحو ذلك مما تحتاج إليه المرأة في حياتها اليومية).

والاقتصار في الكلام على قدْر الحاجة.

"عَنْ عَائشة ل، زَوْجِ النَّبيِّ صلى اللّه عليه وسلم، قَالَتْ: كانَت المُؤْمنَاتُ إذا هَاجَرْنَ إلَى رَسُول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يُمْتَحنَّ بقَوْل اللّه عَزَ وَجلَ: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ » (الممتحنة: ١٢) إلى آخر الآية، قَالَتْ عَائشَةُ ل: فَمَنْ أَقَرَّ بهَذَا منَ المُؤْمنَات، فَقَدْ أَقَرَّ بالمحْنَة، وَكَانَ رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذَا أَقْرَرْنَ بذَلكَ منْ قَوْلهنَ، قَالَ لَهُنَ رَسُولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «انْطَلقْنَ، فَقَدْ بَايَعْتُكُنَ» وَلاَ وَاللّه مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُول

الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام قالت عائشة رضي الله عنه: والله، ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمره الله تعالى، وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن» كلامًا". (أخرجه البخاري (٤٨٩١، ٧٢١٤)، ومسلم (١٨٦٦)).

٢- التأدب بالآداب الراقية، التي أمر الله بها نساء النبي-صلى الله عليه وسلم-أطهر نساء هذه الأمة قلوبًا، ونساء الأمة تبعٌ لهن في ذلك.

عدم الخضوع بالقول: قال الله تعالى: «فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا» (الأحزاب: ٣٢).

قال ابن الجوزي رحمه الله: «قوله تعالى: «فلا تَخضَعنَ بالقَول» أي: لا تلنَّ بالكلام «فلا تخضعن بالقول» أي: فجور، والمعنى: لا تقلن قولاً يجد به منافق أو فاجر سبيلاً إلى موافقتكن له....؛ لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة. «وقلن قولاً معروفًا» أي: صحيحًا عفيفًا لا يطمع فاجرًا. (زاد المسير في علم التفسير ٣/٤٦١)، وهذه آداب أمر الله تعالى بها نساء النبي صلى الله عليه وسلم، ونساء الأمة تبعٌ لهن في ذلك. (تفسير القرآن العظيم ٦/٤٠٩)

٣- التأدب بالآداب الراقية، التي أمر الله تعالى بها الصحابة رضي الله عنهم أطهر رجال هذه الأمة قلوبًا، وإنْ كانت ثمَّ حاجة داعية إلى الخطاب بينهما، فليكن ذلك في حدود الأدب والأخلاق.. قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ» (الأحزاب: ٥٣).

٤- عدم التلذذ بسماع صوت المرأة، وعدم رفع صوتها زيادة عن الحاجة:

ومع أنَّ صوت المرأة ليس بعورة على الراجح. (البيان ١١/ ١٨٨، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ٥/ ٢٢)، والعورة رفع الصوت. (البحر الرائق ١/ ٢٨٥) ويجوز للأجنبي سماعه، إلا أنه يحرُم عليه هذا السماع إذا كان بلذة؛ لأنَّ التلذذ بسماع صوتها قد يثير فيه هذه الشهوة، ولهذا نصَّ الفقهاء على منع سماع صوتها إذا كان بتلذذ. (الدر المختار ١/ ٤٠٦، شرح مختصر خليل للخرشي١/ ٢٧٥، إعانة الطالبين الشافعي٣/ ٣٠٢، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ٥/ ٢٢).

ويحرم التلذذ بسماعه ولو بقراءة (أي قراءة قرآن)". (الفروع لابن مفلح ٨/ ١٩٠)، "(وتسر) وجوبًا (بالقراءة إن سمعها أجنبي) خشية الفتنة بها". (شرح منتهى الإرادات ١/ ٢٠٥).

والخلاصة:أنْ يكون الكلام، بدون تمطيط، ولا تليين، ولا رفع الصوت، وأنه يحرُم على الرَّجل أنْ يسمعه بتلذذ مع خوف الفتنة.

٥- عدم الاسترسال في الكلام، ويكون الكلام على قدْر الحاجة.

بمعنى، أنْ يكون مُختصرًا دون ريبة، لا في موضوعه ولا في أسلوبه.

٦- أمن الفتنة: قال ابن حجر رحمه الله: والتحدث مع النساء الأجانب عند أمْن الفتنة. (فتح الباري ٣/ ٣٣٠).

والكف المباشر عن التخاطب إذا بدأ القلب يتحرك نحو الشهوة.

وبهذه الضوابط في كلام المرأة مع الرجل الأجنبي يكون كلامها من النوع المؤدب العالي الرصين، الذي يبعث على احترام السامع للمرأة، ولا يسمح للغرائز والشهوات بالظهور، ويكون فيه سد للذريعة ولأبواب الشياطين.

رابعًا: الأثر الفقهي:

١-الأصل جواز الخطاب بين الرجال والنساء الأجانب عند الحاجة، بشرط عدم الخلوة وأمْن الفتنة، وعدم الخضوع بالقول، ولا تلذذ من الرَّجل، وكان الكلام مباحًا. والتقييد بالحاجة فيه سدٌ للذريعة؛ لأنَّ الاسترسال في الكلام دون حاجة قد يُفضي إلى المحظور. وأمَّا الكلام العارض لحاجة، فلا بأس به إذا سَلم من المفسدة ولكن بقدْر الضرورة. وعليه، فلا حرج في كلام الرَّجل مع المرأة في بيع، أو شراء، أو استفتاء، أو تطبيب، ونحو ذلك إذا رُوعيت الضوابط السابقة.

ولكن إن تم هذا الخطاب وتعدى للألفاظ الخادشة أو المسيئة، أو ما يُعدُّ تحرشًا لفظيًا، أو ما يُعدُّ فحشًا في اللفظ فلا بد من عقوبة تعزيرية تزجره، وهذا مرجعه للقضاء.

والحمد لله رب العالمين.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام 1345هـ- 1926م

ومن أهدافها

- الدعوة إلى التوحيد الخالص من جميع الشوائب، وإلى حب الله حبًا صحيحا صادقا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًا صادقا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

- الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين- القرآن الكريم، والسنة الصحيحة- ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

- الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخلقا.

- الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتد عليه سبحانه، منازع إياه في حقوقه.

مجلة

التوحيد

هدايا قيمة

لأول ١٠٠

من المشترين

١٠٠٠

جنيه مصري سعر الكرتونة

بدلاً من

~~١٢٥٠~~

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة

سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيهاً

بدلا من ٤٠ جنيهاً

للحصول على الكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

ت/ ٠٢٢٣٩٣٦٥١٧